خوارق وطرائف في حياة

القدّيس پادري پيّو

جمعها وترجمها

أديب مصلح

خوارق وطرائف في حياة

القدّيس پادري پيّو

جمعها وترجمها

أَديب مصلح

٢٠٢٣

"حتّى الملحدون يحتاجون إلى القداسة،
ويركضون نحوها حالما يلمحونها".

(رونيه بازان)

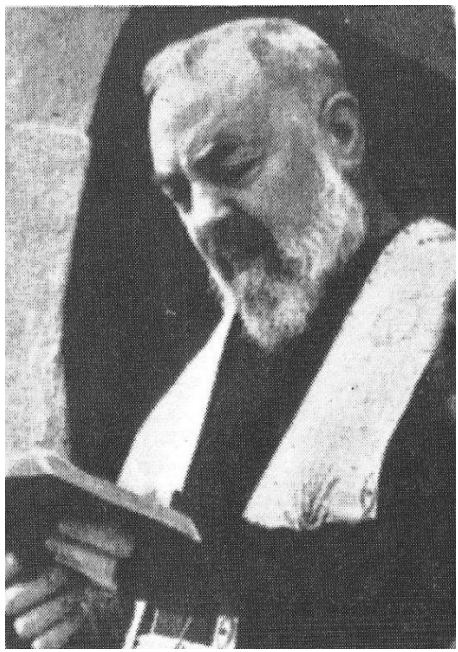

پادري پيّو

"في الكتب نبحَثُ عن الله، وفي الصلاة نجدُه".

تمهيد

حفلت سيرة القديس پادري پيّو بأحداثٍ عجيبةٍ، متعدّدة الأشكال: طلب إلى الربّ أن يرسم فيه صورة آثار صلبه، فارتضى الاستجابة وخوّله القدرة على إجراء الأشفية الجسديّة والروحيّة للمحتاجين إليها، فتهافت عليه أصحاب الحاجات التي لم يكن للبشر قدرةٌ على معالجتها، وشفت شفاعته عِلَلًا استعصت على أبرع النطاسيّين. وتقاطر إليه طالبو نِعَمٍ من كلّ أرجاء العالم، ولجأ إليه حتّى باباواتٌ وكرادلةٌ وأساقفةٌ، وسياسيّون رفيعو المقام، وأوكلوا إلى وساطته وشفاعته ذويهم وأصدقاءهم. وظفر معظمهم بالنِعَم المرجوّة، والشفاءات المطلوبة.

ولم يُشجِّع الكاهن القدّيس هذا التدافع لأنّه آثر أن يكون، أوّلًا، شافي النفوس الجريحة المثقلة بالخطايا، والقلوب المكلومة، واجتذاب النفوس العليلة إلى مشفاها: كرسيّ تعريفه. وكان الفرح الذي يتذوّقه بتحرير نفسٍ من عبء خطاياها يفوق، بلا قياسٍ، فرحه بشفاء مرضٍ ميؤوسٍ منه.

ومع ذلك لم يكن يُطيق اللامبالاة حيال أجسادٍ ضحيّة أمراضٍ، ومرضى بائسين، وغالبًا ما كانت له الشفاءات الجسديّة مدرجةً إلى أشفيةٍ نفسيّةٍ خلاصيّةٍ.

وقد جاد الله بواسطته بوابلٍ من الشفاءات الخارقة، تدعيمًا للإيمان، وإيلادًا له. وزوّد الربّ كاهنه المختار بمؤهّلاتٍ فريدةٍ، لهذا الغرض، أبرزها استجلاء خفايا النفوس، والقدرة على إرسال دعواتٍ وبشائر من خلال العطر المنبعث، عن بُعْدٍ، من دمه المنثال بلا انقطاعٍ، وحتّى من القفّازات المضمّخة بهذا الدم.

ولم يكن يستعجل الشفاء، حرصًا منه على أن يكون للمريض، أو لطالبه سهمٌ في الشفاء، كلّما كان ذلك ممكنًا، وعلى إثارة رغبة طالب الشفاء في الصلاة، وفي الاستسلام للمشيئة الإلهيّة، وحمله على اصطلاحٍ نفسيٍّ ضروريٍّ. وغالبًا ما كان يتريّث في التماس شفاءٍ قبل اعتراف الطبّ بعجزه عنه.

ولطالما أمسك الله عنه شفاءاتٍ جسديّةً واستبدلها بشفاءاتٍ روحيّةٍ، أجلّ قيمةً، وغالبًا ما كان ينصح مرضاه بالخضوع لعمليّاتٍ جراحيّةٍ، يراها الأطبّاء ضروريّةً. وحينئذٍ، كان يرافق مبضع الجرّاح بصلواته، وبها ينتزع الشفاء. ولكم من أطبّاء بحاجةٍ إلى مثل تلك المساعدة!

وكان مرضى كثيرون يُرِقون إليه قبل إجراء عمليّاتٍ لهم، ملتمسين صلواته. وذات يومٍ تلقّى برقيّةً من هذا النوع، فسارع إلى التحذير من خطر ارتفاع نسبة السكّر في دم المريض، مع أنّه لم يكن له معرفةٌ به، وتمّ تفادي كارثةٍ صحّيّةٍ.

وكان لا يني يذكّر الجميع بأنّه عاجزٌ عن فعل أيّ شيءٍ إلّا إذا شاءه الله. فعليهم أن يعلموا أنّ الله هو الفاعل لا هو، وعليهم أن يوقنوا أنّ الله هو الشافي، وألّا يشكروه، هو شخصيًّا، بل أن يشكروا الربّ والعذراء مريم، فبهما يتحقّق كلّ شفاءٍ. وعندما كانت تُطلَب منه نعمةٌ، كان يكتفي بالإجابة: "أجل، سأصلّي، لأجل هذه الغاية".

وأحيانًا، كان يشفي عن بُعدٍ، أو يُنقِذ، من خلال ظهورٍ في الحلم أو من خلال نفحات عبيرٍ ذكيٍّ، مُشبَعٍ بروائح الورود والزنبق والبنفسج. فذات يومٍ كانت سيّدةٌ منهمكةً في اقتلاع حبّات فطرٍ على سفح جبلٍ، وبغتةً، طرقت أنفَها نفحةُ عطر ورودٍ حادّةٌ، فالتفتت لاستجلاء مصدرها، وتبيّنت أنّها على شفا هاويةٍ سحيقةٍ، فتراجعت ونجت.

وأحيانًا، كان يؤثر الإحجام عن شفاء مرضٍ جسديٍّ بسبب إيثاره شفاءً روحيًّا. وقد قال لفتاةٍ طلبت منه شفاءً جسديًّا، واستشفّ فيها

نفسًا مختارةً: "يا ابنتي، لا تطلبي شفاء جسدك، فنفسك قادرةٌ على احتمال الألم. فقدّمي آلامك لخلاص مَن لا يعرفون كيف يتألّمون".

ونصح فتاةً عمياء ألّا تلتمس النور المادّيّ، فنُور الروح خيرٌ منه. وامتثلت الفتاة لنصحه، وجعلت من الكنيسة مسكنها، ومنبعَ سعادتها.

ولطالما نصح نفوسًا مختارةً بتقبّل علّةٍ دائمةٍ، تحوّلها إلى رُسُلٍ وأدوات خلاصٍ. وأبلغ دليلٍ على ذلك هو الأعمى المدعوّ "پيتروسّيو" الملازم لدير الكبّوشيّين في سان جوڤانّي رُتوندو، والذي يفيض فرحًا ومرحًا، واستعدادًا للخدمة، ولتأدية شتّى الخدمات الصغيرة، ولإرشاد الزائرين الجُدُد إلى مبتغاهم. إنّ محيّاه المشعّ، دائمًا، بنورٍ داخليٍّ يُنبئ عن پادري پيّو، أكثر ممّا تُنبئ به كُتُبٌ مسهبةٌ.

"پيتروسّيو"، الآن، في الثامنة والثلاثين. وكان، وهو في سنّ الرابعة عشرة، قد شكا من تشوّسٍ في نظره، وكان پادري پيّو يحيطه بمودّةٍ كبرى، وسَبَرَ معدنه، وقال له:

– "أنت تعلم، يا بنيّ، أنّ كثيرين يخطأون بنظراتٍ آثمةٍ".

وتلقائيًّا، ردّ الفتى: "فلْيأخذ الله عينيّ. إنّي أقدّمهما له عن الخطأة".

ومن ثمّ لم يطلب پادري پيّو له شفاء نظره، مع أنّ شفاعته مكّنت فتاةً بلا بؤبؤٍ من الرؤية، واحتفظ پيتروسّيو إلى جانبه، احتفاظه بكنزٍ ثمينٍ.

وكثيرًا ما طُلبت منه نِعَمٌ مادّيّةٌ، بعضها لا يخلو من طرافةٍ. فقد اقتحم قرويٌّ الدير كالمجنون، مطالبًا بمقابلة "الرّاهب الإلهيّ" في الحال. وكان قد استعار حصان جاره، واختفى الحصان فجأةً. ولكنّ حكمة الأب پيّو وخبرته القرويّة أعفتاه من إزعاج السماء، واكتفى بنصح القرويّ أن يبحث عن الحصان في اصطبل صاحبه. ووجد القرويّ المذكور الحصان الضائع، حيث دلّه الأب القدّيس.

وكان أُسقفٌ يأتيه بطلباتٍ مادّيّةٍ من أبناء الرعيّة. وفيما كان يسلّمه بعضًا منها، ذات يومٍ، وقبل أن يفتح الظرف، قال للأسقف: "قل لصاحب هذه الرسالة إنّي لستُ منجّمًا". واتّضح أنّ مرسلها كان يطلب رقم اليانصيب الذي سيربح.

وذات يومٍ، قصدته أرملةٌ محتاجةٌ، فقال لها: "امضي إلى المدينة الفلانيّة، وإلى الشارع الفلانيّ، وإلى العنوان الفلانيّ". فمضت ووجدت، هناك، قريبةً لها نأت عنها منذ زمنٍ بعيدٍ، أمدّتها بكلّ ما تحتاج إليه.

وكانت إحدى بناته الروحيّات تتلقّى إلهاماتٍ سماويّةً. ولمّا كان الأب پيّو، عام ١٩٠٦، ما زال إكليريكيًّا مبتدئًا في دير "موركوني"، قال لها الربّ: "سيأتي كاهنٌ من بعيدٍ، يرمز إلى شجرةٍ باسقةٍ كي تُزرَع في ديرٍ. وستكون هذه الشجرة من الكِبَر، وعمق الجذور، بحيث يغشى فيئها العالم أجمع. تلك الفتاة المدعوّة "لوشيّا فيورنتينو" رغبت في تكريس ذاتها في الرهبنة، ولكن، من جرّاء ممانعة ذويها، اكتفت بالانتساب إلى الرتبة الثالثة الفرنسيسكانيّة، وأدارت مجموعةً من النفوس التقيّة التي تتغذّى بروحانيّة پادري پيّو.

وكان أسقفٌ إيطاليٌّ قد أمضى بضعة أيّامٍ على مقربةٍ من پادري پيّو، واستخلص أنّ المعجزات التي تتمّ بشفاعته ليست مدينةً لجراح صلبه الظاهرة، بل لتضحياته السخيّة الدائمة، وتوبته اللامحدودة، وحياته المكرّسة كلّيًّا لمجد الله، وردّ الخطأة، ولامّحائه الذاتيّ، ودأبه على إخفاء ما يجريه الله من خلاله.

فلا ريب أنّ حصوله من الربّ على شفاءاتٍ صعبةٍ، كانت تقتضي منه ثمنًا باهظًا: دمًا، وعرقًا، وتضحياتٍ، وجهودًا مضنيةً، كما يتّضح من أقواله لأبنائه الروحيّين الذين أنقذهم من ورطاتٍ خطيرةٍ، وجاءوه شاكرين، فأجابهم: "كم أتعبتموني، وكم جعلتموني أركض!".

وقال، ذات يومٍ، لإحدى بناته الروحيّات: "كيف لي أن أنساكِ، وأنت كلّفتِني تضحياتٍ قاسيةً جدًّا، وولدتُك في آلام قلبٍ مضنيةٍ؟".

وقال لشابٍّ آخر: "لقد اشتريتُكَ بدمي".

ولطالما نزفت نفسه مع جسده في سبيل الآخرين!

وقد شهدت خادمة الله الطوباويّة "ماريّا فرانشيسكا فوريتي"، مؤسّسة جمعيّة "الأخوات الفرنسيسكانيّات العابدات"، أنّ يسوع قال لها: "إنّ نفس الأب پيّو منيعةٌ... إنّها ملاذي من نكران البشر لجمائلي... إنّي أحيا فيه... إنّه تحفة رحمتي. وقد وَهَبتُه كلّ عطايا روحي، كما لم أهبها لمخلوقٍ آخر. إنّه صورتي الأشدّ شبهًا بي، إنّه قربانتي، وهيكلي، وتضحيتي، ونعمتي ومجدي".

ولا بدّ من التنويه، بأنّ پادري پيّو مع كلّ النِعَم والأشفية الخارقة، التي حصل عليها من أجل الآخرين، والتي يتعذّر إحصاؤها، قد أحجم عن طلب نعمةٍ خاصّةٍ له. وفيما كان ذات يومٍ يواجه محنةً قاسيةً، أوعز إليه صديقٌ أن يطلب من الربّ إنقاذه منها، فأجابه: "ليحمِني الربّ من هذا الطلب!"

ولا بدّ من تذكّر العمليَّتَيْن الجراحيّتَيْن اللتين ارتأى الدكتور فيستا

إخضاعه لهما، وأصرّ الأب على إجرائهما في إحدى غرف الدير، التي حُوِّلت إلى غرفة عمليّاتٍ مرتجلةٍ، وأصرّ، أيضًا، على أن يجريهما الدكتور فيستا نفسه، فطلب منه الطبيب أن يسأل معونة الله على الأقلّ، فأجابه: "اعمل أنت جهدك، ولا نزعجنّ الله!".

وما زال أهالي سان جوڤانّي رُتوندو، يذكرون موقفه من وفاة والدته، التي، عندما أُصيبت بالعلّة التي أودت بحياتها، هرع ابنها پيّو إليها، وهيّأها لرحلتها الأخيرة، بأرقّ عنايةٍ، وفيما كان يحاول إعطاءها دواءً وشرابًا، كانت سواقي دماءٍ تنساب على أصابعه من جروحه النازفة. وسأل الطبيب: "ألا تسأل الله أن يشفي والدتك؟". فرفع عينيه إلى السماء، وبعد لحظة صمتٍ، قال: "فلتكن مشيئة الله!".

وعندما لفظت نفسها الأخير كان ألمه مريعًا، وانتحب انتحاب يتيمٍ مفجوعٍ، مردّدًا: "ماما، ماما، يا أُمّاه!".

ودهش بعضهم من تعابير حزنه، وهم الذين شهدوا معاناته البطوليّة الصامتة، مدى عشرات السنين، لآلامٍ جسديّةٍ ونفسيّةٍ مريعةٍ. وحاول عمدة البلدة مواساته، فقال له: "يا أبتِ، ألم تعلِّمنا أنّ

الألم ينبغي ألّا يكون إلّا تعبيرًا عن الحبّ، وعلينا تقديمه لله؟ فعلامَ تنتحب على هذا النحو الذي يمزّق قلوبنا؟". وبغتةً، استعاد الأب وقاره وهدوءه، وقال: "دموعي هي دموع حبٍّ، ولا شيء سوى الحبّ".

ولم يكن أبناء قريته قد نسوا أنّه كان لأسابيع قليلةٍ ماضيةٍ، قد حصل على حياةٍ جديدةٍ لطبيب ملحدٍ، انتشله من موت النفس والجسد.

لقد كان الأب پيّو سرًّا إلهيًّا، حاول الكردينال "سيريني" تفسيره بقوله:

"إنّه إنسانٌ، صُلِب مدى نصف قرنٍ. ما معنى ذلك؟ لمَ صُلِب يسوع؟ صُلِب بسبب خطايا العالم. وعندما يظهر في التاريخ إنسانٌ مصلوبٌ، فهذا يشير إلى أنّ خطيئة العالم جسيمةٌ، وأنّ خلاصهم يقتضي عودة أهوال الجلجلة، وأن يُعلَّق أحدٌ على الصليب، ويبقى متألّمًا عليه من أجل إخوته.

"زماننا يحتاج إلى أناسٍ يقدّمون ما تألّمه ابن الله الوحيد... هذا كلّ ما عمله پادري پيّو".

وقال الكردينال أيضًا:

"لقد تجمّعت لديه كلّ عوامل المصداقيّة.

فقد كان الجميع يعرفون أنّ ذلك الرجل يستشرف المستقبل، وأنّه شـــوهد مرّاتٍ عديدةً في أماكن بعيدةٍ، في حين كان في ديره. وما أكثر الأشخاص الذين سمعوه في كرسيّ الاعتراف يسرد خطايا حياتهم، ويكشف أسرارهم التي كانوا حريصين على إخفائها حتّى على ذواتهم. وكم من شخصٍ جاءه مريضًا وانصرف عنه معافًى! وما أكثر المرضى الذين شفوا بشفاعته عن بعد!

هذه وقائع، وقائع، وقائع...".

★) جوڤـانّا ريـزّاني

كان پادري پيّو، طالب الفلسفة في دير سانت إيليّا في مدينة پيانيزي (Pianisi)، وإذ به في قصرٍ بمدينةٍ في منطقة أوديني (Udine)، حيث ظهرت له السيّدة العذراء، وكلّفته بمهمّةٍ دقيقةٍ، وقد روى الحدث كالتالي:

"منذ أيّامٍ، حدث لي أمرٌ غير مألوفٍ. كنتُ في الكنيسـة مع الأخ "أنسـتازيو"، وفي نحو السـاعة ٢٣ من ١٩٠٥/١/١٨، وإذ بي بعيدًا في قصـرٍ فاخرٍ، حيث كان أبٌ يحتضـر، وفتاةٌ صـغيرةٌ تولَد. وحينئذٍ، ظهرت العذراء، وقالت لي: "أُوكل إليك هذا الكائن الصـغير، إنّه جوهرةٌ غير مصـقولةٍ، فاعمل عليها واصـقلها، وأضـفِ عليها أكبر قدرٍ من التألّق، لأنّني أريد أن أزدان بها يومًا". فأجابها الأب پيّو: "كيف يمكن ذلك، وأنا ما زلت إكليريكيًّا بسـيطًا، ولسـت أدري هل سـيتاح لي أن أنعم بالكهنوت، يومًا؟ وحتّى إذا أصـبحتُ كاهنًا، كيف يمكنني أن أعتني بهذه الفتاة، وأنا بعيدٌ عن مكان إقامتها؟" فأجابتـه

العذراء: "لا يراودنّك أيّ شكٍّ، فهي التي ســـتأتي إليك، وقبل ذلك ستقابلها في كنيسة القدّيس بطرس، في روما".

الفتاة المشار إليها هي "جوڤانّا" ابنة المركيز "ريزّاني" (Giambattista Rizzani)، الذي كان يحتضر حينذاك.

واتّفق بعد سنواتٍ، أن كانت جوڤانّا المذكورة في كاتدرائيّة القدّيس بطرس في روما، تبحث عن كرسيّ اعترافٍ، وكان ليلٌ، وكراسي الاعتراف كلّها خاليةٌ، وإذ براهبٍ شابٍّ يدخل إحداها فركعت الفتاة أمامه، وانطلقت تبوح وتبوح، في هذه الأثناء كان الراهب جسديًّا في ديره.

وكرّت سنواتٌ أخرى، وترامى إلى سمع جوڤانّا أنّ راهبًا كبّوشيًّا يحمل سمات صلب يسوع، هو في أحد أديرة منطقة "غرغانو" (Gargano).

وكانت الفتاة تجتاز أزمةً روحيّةً، فسارعت إليه، ومع أنّها كانت تراه شخصيًّا للمرّة الأولى، روى لها في الحال كلّ سيرتها، وكيف وُلِدت فيما كان والدها يفارق الحياة، ووصف لها منزل ذويها في "أوديني" (Udine) بأدقّ تفاصيله. وأراها مذكّرةً كان قد دوّنها، آنذاك، وذكر

فيها كلّ تلك الأحداث بحذافيرها، وأحاطها علمًا بتكليف السيّدة العذراء له بالعناية بها، ومنذئذٍ، أضحت جوڤانّا ابنته الروحيّة، وهو أصبح مرشدها طوال حياتها. وأطلعها على يوم وفاته، ولمّا لحظ الشكّ يخامرها في صدق نبوءته، قال لها: "ستكونين في صومعتي يوم رحيلي عن هذه الدنيا، وستريني أموت محاطًا بإخوتي الرهبان"، وهكذا كان.

كان حينذاك، على مشارف سنته الثامنة عشرة، وأذهلته هذه المهمّة، في مكانٍ بعيدٍ، بلا اضطرارٍ إلى مغادرة ديره، فضلًا عن ظهور العذراء له وتكليفه بمهمّته. وبناءً على طلب مرشده، دوّن ذلك الحدث.

★) جوڤـانّي فيشيـر

ذلك الإنسان كان قد ابتُليَ، منذ صغره، بعلّةٍ معويّةٍ، خلّفت لديه إصاباتٍ خطيرةً في أعضائه السفلى، فغدت قدماه مفتولتَيْن إلى الداخل. وعام ١٩١٩، كان قد بلغ الثالثة والأربعين من عمره، لا يستطيع عملًا، ويعتاش من تسوّله على مقربةٍ من دير الكبّوشيّين، دير سيّدة النِعَم، في سان جوڤانّي رُتوندو.

وكان يستعين على السير بعكّازين لا يحميانه من الوقوع بين حينٍ وحينٍ. كان يقضي أيّامه البائسة مطّرحًا على الأرض، مستعطفًا المارّة. ومع كلّ بؤسه لم ترحمه الطبيعة التي كانت في الشتاء تبلّله بأمطارها، أو تلبسه رداء ثلجٍ، يخترق نخاع عظامه، ولم يرحمه البشر، إذ كان أطفالٌ أنذالٌ، سيّئو التربية، يتّخذون منه هدفًا لسخريّتهم الوقحة، ولإهاناتهم الموجعة، فيوقعونه ويبعدون عكّازَيْه عنه، أو يدفعون عليه قطعان الخراف والماعز لكي يقع بين قوائمها.

ولم يكن يلطّف وطأة هذا البؤس السحيق إلّا إيمانه المسيحيّ الوطيد، والتماسه الدائم من المخلّص الذي صُلِب من أجلنا، أن يحرّره من بلواه، وتمثّلًا بالمصلوب كان يحمل صليبه صابرًا.

كان يلحظ پادري پيّو خارجًا من الدير في مهمّةٍ روحيّةٍ، وعائدًا إليه، وترامى إلى سمعه أمر الجراح التي طبعها الربّ في جسده، تمثّلًا بصلب الربّ، وكانت نفسه تسوّل له، بين فينةٍ وفينةٍ، التحدّث إليه، ولكنّ خَفَره كان يمسكه عن ذلك، لا سيّما أنّه كان يراه يعاني من المشي، بسبب جراح قدميه، أكثر ممّا هو كان يعاني. فكان يقول في سرّه: "لو كان بقدرته إجراء أشفيةٍ معجزةٍ، كما يُشاع، لشفى نفسه، أوّلًا."

وذات مساءٍ، ضاق ذرعًا بعيشه الوجيع الذّليل والمرير، وتسرّب الشكّ حتّى إلى إيمانه، فسأل الربّ أن يضع حدًّا لحياته ولآلامه الجسديّة والنفسيّة. وغرب عن باله أنّ ذلك المساء كان مساء انعتاقه، فقد شاهد پادري پيّو عائدًا من مباركة بئرٍ جديدةٍ في الحيّ، فناداه بصوتٍ عالٍ: "پادري پيّو، إن كان صحيحًا ما تفعله لآخرين، فأنعم عليّ أيضًا". ورنا الأب إليه، ووقف على مقربةٍ منه، وحدّق إليه طويلًا، ثمّ رفع نظره إلى السماء، ثمّ قال له: "ارمِ عكّازَيْك بعيدًا". ولكنّ الشكّ كان مسيطرًا على الرجل، ولم يتخيّل أنّ معجزةً تتحقّق في مثل هذه البساطة، ولم يتحرّك. فأمره الراهب ثانيةً، بقوّةٍ وصرامةٍ: "ارمِ عكّازَيْك بعيدًا".

ولم يكن للرجل حيلةٌ سوى الامتثال لأمر الراهب، الذي يعدّه الجميع قدّيسًا، فرمى عكّازَيْه ونهض، وأدهشته قدرته على النهوض، وانتابه شعورٌ بعودة القوّة إلى ساقيه، واستعادت قدماه وضعهما الطبيعيّ. وطردًا لكلّ شكٍّ، جلس أرضًا، ونهض، واستقام غير مستعينٍ بعكّازٍ، وقدّم ساقه اليمنى، وذهل لإحساسه بأنّها تطيعه، ثمّ قدّم ساقه اليسرى، فازداد ذهوله بقدرتها على الحركة، ومشى، كما يمشي كلّ إنسانٍ طبيعيٍّ، وهو يكاد لا يصدّق ما جرى له. وفرك عينيه كي يتأكّد أنّه ليس ضحيّة هلوسةٍ أو هذيانٍ. وحينئذٍ، تطلّع إلى السماء شاكرًا، وارتمى عند قدمَي الراهب هاتفًا: "شكرًا يا أبتِ، شكرًا يا يسوع!".

وأمضى، بعدئذٍ، بضع سنواتٍ هنيئةٍ، ومات مدعومًا بإيمانٍ وطيدٍ، بين اليدين الموسومتَيْن اللتين كانتا أداة شفائه.

★) خزي أسقفٍ مرتابٍ

حاول أسقفٌ إقناع البابا بينيدكتُس الخامس عشر، بأنّ پادري پيّو مخادعٌ ودجّالٌ، وأجابه الحبر الأعظم: "أنا متأكّدٌ من أنّ معلوماتك عنه خاطئةٌ". ولذلك أنصحك بالذهاب إليه، والتثبّت بنفسك والرؤية بعينيك". وامتثل الأسقف لرغبة الحبر الأعظم. وبعد بضعة أيّامٍ، استقلّ قطارًا إلى "فوجيّا"، كاتمًا أمر هذه الزيارة عن الجميع. ولدى انحداره من القطار، وجد راهبَيْن كبّوشيَّيْن ينتظرانه، وبادراه بالقول:

- المجد لربّنا يسوع المسيح. لقد كلّفنا پادري پيّو يا صاحب السّيادة، بمواكبتك إلى سان جوڤانّي.

ذُهل الأُسقف، وقال:

- ولكن لا علم لأحدٍ بمجيئي.

فابتسم الكبّوشيّان، وقالا:

- لا بدّ أن مصدرًا موثوقًا قد أخبر الأب پيّو. وقد قال لنا إنّ الحبر الأعظم، هو الذي نصحك بالمجيء إلى هنا.

بلغ ذهول الأسقف ذروته، فهرع إلى شبّاك تذاكر المحطّة وابتاع بطاقة عودةٍ إلى روما، في أوّل قطارٍ عائدٍ إليها. ثمّ رجع إلى مستقبلَيْه معتذرًا، مدّعيًا أنّه نسي أمرًا هامًّا يضطرّه إلى العودة في الحال.

فقد كان قد حقّق غاية رحلته، وتبيّن بنفسه ورأى بعينَيْه. ولكن كان يتساءل، في سريرته، هل علم پادري پيّو كلّ ما قاله عنه للحبر الأعظم؟

★) ارتداد قاتلٍ

الرجل الذي قصد دير الكبّوشيّين، صباح يومٍ من شتاء عام ١٩٢٠، وطلب مقابلة پادري پيّو، لم يكن تائبًا من التائبين الذين يقصد مئاتٌ منهم يوميًّا الراهب القدّيس، بل كان يسعى إلى تمويه جريمةٍ نكراء. فهو عضو عصابة مجرمين متمرّسين، مصمّمين، لا يردّهم عن مقاصدهم الجرميّة أيّ رادعٍ. وكان قد عقد العزم على قتل زوجته، ومواصلة حياته مع امرأةٍ أخرى، توفّر له حياةً أوفر رفاهًا، وقد أعدّ لذلك مؤامرةً ماكرةً. كان يعلم إجلال زوجته للأب پيّو، المقيم في ديرٍ بمنطقةٍ جبليّةٍ موحشةٍ، حيث لا أحد يعرف هويّة المجرم، فأغرى زوجته برحلةٍ ممتعةٍ إلى ديره.

ومذ حطّ رحاله في قرية سان جوڤانّي رُتوندو، استأجر غرفةً له ولزوجته في نزلٍ زريٍّ، وسارع إلى تنفيذ مخطّطه الذي رسمه على الشكل التالي:

يمضي بمفرده إلى دير الكبّوشيّين، ويحصل على بطاقةٍ تحدّد دورًا لاعتراف زوجته، وعندما تمضي هي إلى الكنيسة، يقصد حانةً معزولةً عن القرية، ويقدّم لزبائنها شرابًا، ثمّ يدعوهم إلى البدء بلعبة ورقٍ

يشاركهم بها، ولا يلبث أن يختلق عذر غيابٍ، لأمرٍ طارئٍ، واعدًا بالعودة سريعًا لمتابعة اللعب، وفي هذه الأثناء يكون قد اقتاد زوجته وهي خارجةٌ من الدير، إلى الصحراء المحيطة بالدير حيث يقتلها، ويدفنها بعيدًا عن مرأى أيّ إنسانٍ، ويهرول عائدًا إلى الحانة، كي يكمل اللعب بالورق، مبعدًا عنه كلّ شبهةٍ. ثمّ يعود صباح اليوم التالي إلى المدينة.

كان واثقًا أنّ مخطّطه محكمٌ لا ثغرة فيه. ولم يحسب حسابًا للأب پيّو، الذي كان يقرأ كلّ ما يجول في ذهنه من مخطّطاتٍ إجراميّةٍ، وعند وصوله إلى الدير كان الأب يفرغ من تعريف قرويّين، ودفعت المجرم قوّةٌ لا تقاوَم إلى كرسيّ الاعتراف، حيث ركع، وما إن شرع يرسم إشارة الصليب، حتّى انطلقت من كرسيّ الاعتراف صيحاتٌ مريعةٌ: "ابتعد، ابتعد، انصرف! ألا تعلم أنّ الله منع تلويث اليدين بدم القتل، ابتعد عن هنا. ثمّ أمسكه الكاهن من يده وطرده.

خُضّ الرجل، وذُعِر، وارتعد، وذُهِل كيف فُضِح أمره، أمام حشدٍ من الناس، فولّى الفرار إلى البريّة، ووقع أمام صخرةٍ، فتضمّخ وجهه بالوحل. وخطر أمام ضميره شريط حياته الحافلة بالآثام. وفي لحظةٍ،

أدرك قتام فساد نفسه الضالّة، وتجلّت له بشاعة جريمة القتل التي كان قدّ خطّط لها.

كان الاضطراب قد أخذ بمجامع نفسه، فعاد إلى الكنيسة طالبًا إراحة ضميره، بصدقٍ. وكان الأب بيّو ينتظر عودته، وقد أعدّ له لائحةً كاملةً بكلّ آثامه، خطيئةً خطيئةً، وجريمةً فجريمةً، بكلّ تفاصيلها. استقبله الأب بمودّةٍ وعطفٍ. فقصّ عليه كلّ ماضيه المخزي، حتّى الجريمة النكراء التي كان مُقدِمًا على ارتكابها، والتي كانت ما زالت سجينة ذهنه، ولم يعلم بها أحدٌ.

استحوذ على الرجل الذهول والخجل والندم، فارتمى عند قدمَي الكاهن، طالبًا الغفران بندمٍ صادقٍ. وكانت لحظة نعمةٍ ساميةٍ.

وحرص الأب بيّو على تتويج ذلك الحدث بنهايةٍ غير متوقّعةٍ. فعندما همّ الرجل بالنهوض، وقد بلّل العرق جسده كلّه، وما زال وجهه ملطّخًا بالوحل نتيجة وقوعه عند صخرةٍ، سأله الراهب القدّيس:

- ألم تكن راغبًا أن يكون لك ولدٌ؟

وصُعِق الرجل لمعرفة الراهب بأكثر أسرار نفسه خفيةً، وقبل أن يجيب، استأنف الأب پيّو:

- إذن أقلع عن إهانة الله، فستُرزَق بولدٍ.

وعاد الرجل إلى پادري پيّو، في مثل ذلك اليوم من العام التالي، وقد انقلب، روحيًّا وسلوكيًّا، انقلابًا جذريًّا، وعلى يده ولدٌ، أنجبته له المرأة التي كان ينوي قتلها.

★) قيامة طفلٍ ميتٍ، ١٩٢٥

"ماريّا جنّاي" (Gennaï)، هي أمُّ طفلٍ اعتلّ بعد ولادته، وشخّص الطبيب الذي فحصه مرضًا معقّدًا جدًّا. وبدأت جلجلة المرأة المنسوجة من آمالٍ خلّبٍ، ومراجعاتٍ طبّيّةٍ مكلفةٍ، لا طائل منها، وتفاقمت آلام الطفل، والمرض الذي يلتهم جسده الهشّ شيئًا فشيئًا.

ولمّا فقدت ماريّا كلّ أملٍ بشفاء ابنها، قصدت دير سان جوڤانيّ رُتوندو، الواقع على مسافةٍ شاسعةٍ من قريتها، يحدوها أمل عونٍ من ذلك الرّاهب، الذي ذاعت شهرة المعجزات التي تجري عن يديه الموسومتَين بجراح الرّبّ. غير أنّ الطفل لقي حتفه أثناء الرحلة الطويلة، فدثّرته والدته بثيابه، وأودعته في حقيبةٍ وأغلقتها. ومع ذلك واصلت رحلتها التي، منطقيًّا، أصبحت عقيمةً.

وفي اليوم التالي، وصلت إلى سان جوڤانيّ رُتوندو، منهارةً يائسةً، ولكنّها ما زالت مدعومةً بإيمانٍ راسخٍ، وانتظمت في طابور النّساء طالبات الاعتراف لدى الأب پيّو، ضامّةً بين ذراعيها الحقيبة المنطوية على جثّة طفلها، بعدما انقضت أربعٌ وعشرون ساعةً على وفاته.

ولمّا وصلت إلى كرسيّ الاعتراف، كان الأب پيّو منحنيًا يصلّي، وركعت منتحبةً، مستغيثةً، وفتحت الحقيبة، وأرته الجثّة الحبيبة. حُزنُ الأمّ حطّم قلب الراهب، فأخذ الجثّة بين يديه ووضع يده المثقوبة على رأسه، ثمّ رفع ناظريه إلى السماء، وتلا صلاةً.

وفي غضون ثانيةٍ واحدةٍ، استعادت الجثّة الروح، وبدأ الطفل يحرّك ساقيه حركةً متقطّعةً، ثمّ حرّك يديه، وبدا كأنّه يستفيق من نومٍ عميقٍ. والتفت الأب پيّو إلى والدته، قائلًا: "علامَ تنتحبين؟ ألا ترين أنّ طفلك يستيقظ من نومه؟".

وما لبث أن حلّ اللون الزهريّ محلّ شحوب الموت، وانفرجت شفتا الطفل عن بسمةٍ، وطافت عيناه في محيطه.

وسرعان ما ازدحمت الجموع حول الأمّ التي استعادت جثّة طفلها نابضةً بالحياة، وامتلأت الأجواء هتافات فرحٍ وشكرٍ، وتناقلت الألسن النبأ المعجز، وتدافعت المناكب لرؤية المعجزة والقدّيس الذي أحدثها الربّ بشفاعته.

وسرعان ما تناقلت خطوط التيلغراف النبأ المذهل.

★) روزيتّا پَوْلو ريـڤا

روت "روزيتّا پَوْلو ريڤا" من مدينة جنوى الإيطاليّة:

"أُصبتُ منذ سنّ الثانية عشرة بالتهابٍ في شغاف القلب، كان يؤلمني جدًّا، ولم يجد الأطبّاء ما يخفّف ألمي. وزارتني صديقةٌ ذات يومٍ، فبكت لحالي، وسألتني: "هل راسلت پادري پيّو؟" فأجبتها: "من هو پادري پيّو، وما عساه أن يفعل لي؟" فتطوّعت هي وبعثت برسالةٍ له ملتمسةً بركته.

وبعد مضيّ أسبوعين، حدث، ذات مساءٍ، أمرٌ عجيبٌ. فقد كنتُ جالسةً قرب سريري، وإذ بغمامةٍ بيضاء تدخل من نافذتي المفتوحة. فخفتُ، وأخفيت رأسي تحت وسادةٍ، وحاولت إطلاق صرخة استغاثةٍ، ولكنّ نَفَسي لم يسعفني. وسمعتُ صوتًا يقول: "لا تخافي".

- من أنت؟

- أنا پادري پيّو، يا روزيتّا. عوضًا عن مراسلتك، جئتُ إليك شخصيًّا. ألستِ راضيةً؟

- بلى أنا سعيدةٌ جدًّا، وأرجوك أن تباركني.
- أؤكّد لكِ يا روزيتّا، أنّ نعمة السيّدة العذراء ستحلّ عليك.
- متى يا أبت؟
- يوم ٢٨ آب، الساعة الثامنة مساءً.

وتوارت الغمامة البيضـــاء، وبكيتُ أنا فرحًا. ولســـت أدري سبب إخفائي الأمر عن الجميع.

وصـباح ٢٨ آب، عند اسـتيقاظي شـعرت بتحسّـن حالي. وبعد مضيّ أسبوعين كان شفائي كاملًا.

★) فتاةٌ بلا بؤبؤٍ، ترى

"جيمّا دي جورجو"، وُلِدت ليلة عيد ميلاد ١٩٣٩، بعينين لا بؤبؤ فيهما، وبالتالي كان محكومًا عليها بالعمى الدائم، لداءٍ لا يؤمل منه شفاءٌ. وقد أكّد هذا الحكمَ العديد من الأطبّاء المختصّين.

وشقّ على جدّتها رؤية حفيدتها الغالية، تكبر محرومةً من إحدى أجمل نعم الوجود، حزينةً، تعيسةً. فوطّنت العزم على الحجّ بها إلى دير سان جوڤانيّ رُتوندو. وفي أثناء الطريق لم تكفّ الفتاة عن استفسار جدّتها عن مقصدها، وعمّا كانت تراه في الخارج، وتكتفي الجدّة بالقول أنّهما في نزهةٍ. ومنذ وصولهما إلى سان جوڤانيّ رُتوندو، هرعتا إلى حضور قدّاس الأب پيّو، ثمّ انتظمتا في الطابور لنيل بركة الكاهن القدّيس، ثمّ في طابور الاعتراف، وعندما مثلا أمام الراهب، بسطت الجدّة بين يديه حال حفيدتها، فرنا الراهب إلى الفتاة ولامس عينيها، ورفع أنظاره إلى السماء، وبعد صلاةٍ وجيزةٍ، قال للجدّة: "حفيدتك جيمّا ترى، وسترى". وبعد مضيّ بضعة أسابيع، اقتادت الجدّة حفيدتها إلى طبيب العيون الذي كان يعالجها، فذهل، وأكّد أنّها أضحت ترى.

وكانت تلك معجزةً فريدةً، معجزة فتاةٍ ترى بعدما وُلِدت عمياء، ولا بؤبؤ في عينيها، وما زال الطبّ عاجزًا عن تفسير هذا الشفاء.

★) فتاةٌ تروي شفاءها

إليكم ما روته فتاةٌ، مردّدةً، حرفيًّا، ما طالما سمعته من والديها:

في ســنّ الرابعة، ابتُليتُ بمرضٍ خطيرٍ جدًّا، وطلب الطبيب من والديّ نقلي سريعًا إلى المستشفى، قائلًا: "أشكّ في قدرة المشـــفى على فعل ما ينقذ صـــغيرتكما، فأنا فعلتُ كلّ ما اسـتطعت". آنئذٍ، كنتُ أصـارع الموت، ولم يتوقّع لي الطبيب العيش أكثر من أيّامٍ معدوداتٍ".

كانت علّتي قد ظهرت حين كنتُ في الشـــهر الثامن من حياتي، إذ كنتُ مصـابةً بخللٍ في الكبد والطحال، ولكنّني نلتُ العلاج المناسب حينذاك، ونمَوتُ نموًّا طبيعيًّا. وكنتُ نشيطةً، مندمجةً في المجتمع، منســـجمةً مع أترابي، محبّةً لوالديّ. وفي سنّ الثالثة ساءت حالتي بغتةً، فانتفخ بطني، وانتفخت شـــفتاي، انتفاخًا غير طبيعيٍّ، وارتفعت حرارتي حتّى صـــرت أهذي. وانهار والداي قلقًا، وأمسـيا يقضـيان أيّامهما باكيَيْن، مصلّيَيْن، وجفاهما النوم.

وأخيرًا، اقتاداني إلى المسـتشـفى، وهما فاقدا الرجاء. وبدا

لأطبّاء المستشفى أنّ موتي وشيكٌ. كان جسدي يتشوّه لحظةً فلحظـةً، ويصـــبح مريعًا. واعترى الممرّضـــات وراهبات المستشفى قلقٌ سحيقٌ على مصيري، ولم تكن جدّتي تغادر سريري الصغير لحظةً، عاكفةً على الصلاة.

وذات يومٍ، قالت إحدى راهبات المستشفى إنّها ستلتمس لي شفاعة الأب پيّو، مشدّدةً على تأكيدها: "أجل، يجب طلب معونته، فهو سـيشـفيها". ثمّ دسّـت صـورة الأب پيّو تحت وسادتي، وأرسلت سيّدةٌ من المستشفى رسالةً عاجلةً إلى الأب، وصفت فيها حالتي، والتمست غوثه. ومرّ يومان، وفي الساعة الواحدة من ليلة ٢٨ شباط، تمّ الشفاء.

فقد استشمّت والدتي وجدّتي، بغتةً، عبير وردٍ. وفي الحال، توقّفتُ أنا عن الأنين، فأطلقت والدتي صـــراخًا حادًّا، لأنّها ظنّت أنّني متُّ. ولكنّها عندما دنت منّي تبيّنت أنّ تنفّســـي غدا منتظمًا. ولمّا أفقتُ فجرًا، وهتفتُ: "إنّي جائعةٌ جدًّا"، ذهل الأطبّاء، حيال شفاءٍ اعتبروه متعذّر التفسير.

لم يقوَ والدي على فهم ما حدث، غير أنّ والدتي قبّلتني

بحرارةٍ، وهي تردّد: "لسنا نهذي. فقد شفيت حقًّا". وسحبَت الصورة من تحت وسادتي وقبّلتها، وأرتني إيّاها، فسألتها: "من هو هذا الرّاهب، فقد رأيت، في الحلم، راهبًا يشبهه". فأجابت: "إنّه الأب پيّو، وهو الذي شفاكِ". وبعد ساعتين، وردت برقيّة جاء فيها "الأب پيّو يؤكّد لكم صلاته، ويبارككم".

أبقاني الأطبّاء في المشفى ستّة أيّامٍ، يراقبون تطوّر حالتي، محاولين فهم شفائي، الذي لم يرَوا له مثيلًا. وعدت ألعب مع أترابي.

★) عاملٌ مصابٌ استعاد قدرته على الحركة، يروي

أنا عاملٌ في سكّة الحديد. وذات مساءٍ، فيما كنتُ عائدًا إلى منزلي، لم أستطع تفادي سيّارةٍ مندفعةٍ نحوي بأقصى سرعتها. واستيقظتُ في المستشفى، بعد غيبوبةٍ امتدّت ستّة أيّامٍ. وها هي آثار الحادث على وجهي. إنّها جروحٌ تلتئم بسرعةٍ خلافًا لما جرى لفخذي. التي كُسرت عظمتها كسرًا بليغًا. وبعد معالجتها التحمت. ولكنّي صرت عاجزًا عن طيّها، وأُصيبت ركبتي بتصلّبٍ شبه كاملٍ، ومنذئذٍ، ما انفككتُ أتنقّل من مشفًى إلى مشفًى، ومن مدينةٍ إلى أخرى، على امتداد سنتين. ولكن كلّ المحاولات لم تؤتِ سوى المزيد من تفاقم سوء حالي، وإلى مزيدٍ من التعقيد. وبعد كشفٍ طبّيٍّ أجرته إدارة السكّة الحديديّة، حصلتُ على معاش إعاقةٍ.

في هذه الأثناء كانت أنباء الأشفية العجيبة، التي تتحقّق بشفاعة پادري پيّو قد تنامت إلى مسامع زوجتي، فراسلته، ولم تتلقّ جوابًا. وبمناسبة عيد ميلاد ١٩٤٨، وبمناسبة عطلة ابنتنا المدرسيّة، قصدنا نحن الثلاثة دير سان جوڤانّي

رُتوندو. كانت الرحلة شـــاقّةً جدًّا. ولمّا انتهينا إلى غايتنا، كانت فخذي قد انتفخت مســبّبةً لي ألمًا مضــنيًا. ومع ذلك جررتُ نفسي إلى كرسيّ تعريف الأب پيّو مستعينًا بعكّازين، فحدّق إليّ الأب تحديقًا عميقًا، وباركني ووضـــع يده على كتفي، وشرعت أسرد خطاياي، فقال: "اصمت، أنا أعرف أنّك لست مسيحيًّا ملتزمًا، وأعرف أيضًـا، أنّك صـلّيتَ كثيرًا لمّا كنتَ في المستشفى. فاسـعَ إلى أن تصبح أفضـل حالًا، روحيًّا، وإلّا سـيكون الربّ قد منحك نعمته، سُـدًى". لم أفهم جيّدًا ما كان يقول، ومع ذلك، كنتُ شديد التأثّر بكلامه. ولمّا غادرته، كنتُ أحمل عكّازيَّ على يديّ، ولكن لم أنتبه إلى ذلك في وقتـه. ولم أتبيّن أنّني كنتُ أســيرُ طبيعيًّا، إلّا عندما وصـلتُ إلى الفندق، وطلبت من زوجتي أن تعطيني وسـادةً أضـعها فوق ركبتيّ. وحينئذٍ، تذكّرتُ أنّني ركعتُ في كرسـيّ الاعتراف لمّا طلب منّي الأب الركوع، وأدركتُ أنّي شُـفيتُ. وراقبتُ جروحي، فوجدتُ أنّ فخذي المنتفخة التي كانت تنزف بعد الرحلة، قد استعادت وضعها الطبيعيّ.

وعدتُ إلى اللجنة الطبّيّة التابعة لسكّة الحديد، وطلبتُ إعادتي إلى العمل. بادئ الأمر، لم يستطِع أحدٌ تصديق شفائي. ولكن بعد أن فحصني جميع الأطبّاء الذين كانوا قد أكّدوا إعاقتي، أيقنوا بشفائي، واستعدتُ عملي.

ومنذئذٍ، أمضي كلّ سنةٍ، بمناسبة عيد الميلاد، كي أشكر للأب پيّو صنيعه، ولكنّه يقول لي كلّ مرّةٍ: "لا تشكرني أنا، فالله هو الذي شفاك. واسعَ إلى أن تكون مسيحيًّا صالحًا".

★) ذراعٌ مكسورةٌ تُشفى

كُسِرت ذراع الآنسة "جوزيفين ماركييتّي" (J. Marchietti)، لمّا كان لها من العمر أربعٌ وعشرون سنةً. وكانت تلك الذراع، قد خضعت لجراحةٍ عقب الحادث، وأُجريت لها عمليّةٌ جديدةٌ، طويلةٌ معقّدةٌ، وصارح الجرّاح والد الفتاة بأنّها فقدت نهائيًّا قدرة استخدام ذراعها.

ويمّم الوالد وابنته شطر سان جوڤانّي، فقابلهما پادري پيّو، وباركهما، وقال لهما: "إيّاكم واليأس، بل اتّكلا على الربّ. وستُشفى الذراع".

كان ذلك في نهاية شهر تمّوز ١٩٣٠. وعادا إلى بولونيا ومضت أشهرٌ، ولم يحدث أيّ تحسّنٍ على وضع الذراع. وخُيِّل إليهما أنّ توقّع پادري پيّو كان خاطئًا ونسيا الأمر. ويوم السابع عشر من شهر أيلول، الموافق لذكرى ظهور سمات الصلب على جسد القدّيس فرنسيس الأسّيزيّ. عبق، بغتةً، منزل آل ماركييتّي بعطر ورودٍ ونرجسٍ برّيٍّ زكيٍّ، أذهل أفراد الأسرة الذين بحثوا عبثًا عن مصدر العطر. ومنذ ذلك اليوم استعادت ذراع الفتاة قدرتها الطبيعيّة، وأظهر التصوير الشعاعيّ تجدّدًا كاملًا في الساعد، عظمًا وغضاريف.

★) تاجرٌ ملحدٌ يتحوّل

قدمَ تاجرٌ من مدينة جنوى إلى مدينة فوجيّا من أجل صفقة زيتٍ، ولكنّ عميله في فوجيّا أعطاه رسالةً، وطلب منه إيصالها إلى پادري پيّو في سان جوڤانيّ، والعودة بجوابٍ عليها. وفي الواقع، لم يبتغِ العميل من تلك المهمّة سوى مساعدة صديقه على إصلاح مسيرته الشائنة.

وبعد رحلةٍ شاقّةٍ، وصل التاجر إلى الدير، وهو يضجّ غيظًا. وقدّم للبوّاب الرسالة، طالبًا الإجابة عليها في الحال، لأنّه لا يستطيع الانتظار.

ابتسم البوّاب، وقال بهدوءٍ:

- "ليس هذا مكان الاستعجال، بل هذا بيت الصبر. سأسلّم الرسالة، وفي هذه الأثناء انتظر الجواب في السكرستيّا".

وأغلق الباب. ازداد التاجر غيظًا. ولمّا حضر الأب پيّو، لم يرَ فيه سوى كاهنٍ عاديٍّ، ودار بينهما الحوار التالي، الذي بدأه الكاهن سائلًا:

- "وأنتَ ماذا تريد؟
- "جوابًا على الرسالة التي تسلّمتها.
- سننظر في شأن الرسالة. ولكن أنتَ، ألا تريد أن تعترف؟
- منذ زمنٍ طويلٍ، تخلّيت عن هذه الممارسات.

- متى اعترفت للمرّة الأخيرة؟
- منذ سنّ السابعة.

فحدّق إليه الكاهن، وسأله مؤكّدًا على كلّ حرفٍ:

- متى إذن، ستضع نهايةً لهذه العيشة المقيتة؟

وبلحظةٍ واحدةٍ، أحسّ التاجر المستعجل، أنّ القناع أُزيح عنه. وقرّر ألّا يبقى يومًا واحدًا، بل أسبوعًا كاملًا، كي يتذوّق حلاوة البراءة المستعادة، بعد أن سمع الأب يبّو اعترافه، ومنحه الغفران، وأتاح له حضور قدّاسه، وناوله جسد الربّ.

واعترف: "منذ خمسٍ وأربعين سنةً، لم أطأ أرض كنيسةٍ، إلّا بقصد تأمّل أعمالٍ فنّيّةٍ، أنا المتشكّك، الملحد، ومع ذلك، لن أستبدل ذلك الصباح بكلّ ذهب الدنيا. إنّ قوّةً جديدةً رائعةً استحوذت عليّ فجأةً، ونورًا صاعقًا أنار ذهني. وعند خروجي من الكنيسة، كنتُ خفيفًا وسعيدًا، كما لو لم أشعر بالسعادة قطُّ في حياتي. وكان كلّ كياني مندفعًا إلى العطف والخير. واعترفتُ بصواب القول: "الإنسان، بمعزلٍ عن الله، كائنٌ مشوّهٌ".

★) حرصه على إقامة القدّاس

- "كان بادري بيّو يقيم للقدّاس قيمةً كُبرى، فالقدّاس "ينقذ العالم من الهلاك، يومًا فيومًا". ولذلك لم يكن يطيق أيّ إهمالٍ بشأنه. وجاءه، ذات يومٍ، كاهنٌ من بعيدٍ، كي يعترف، وبعد أن أدلى بكلّ هفواته، سأله بيّو برقّةٍ: "ألا تذكر شيئًا آخر؟ حاول أن تتذكّر".

وعبثًا، جهد الكاهن الغريب في نبش ماضيه القديم والحديث، ولم يجد ما يعترف به، وحينئذٍ، ذكّره بيّو برقّةٍ فائقةٍ: "أمس صباحًا، وصل القطار بك إلى مدينة بولونيا عند الخامسة صباحًا، والكنائس ما زالت مغلقةً، فذهبتَ إلى فندقٍ، واستلقيت على سريرٍ، وغرقتَ في النوم حتّى الساعة الثالثة عصرًا، وكان وقت القدّاس قد ولّى. أعلم أنّك لم تفعل ذلك عن قصدٍ خبيثٍ، ولكنّ عملك كان إهمالًا أدمى قلب الربّ".

- "كان الأب شديد الحرص على أن يحترم أبناؤه الروحيّون الإفخارستيّا وبيوت الله، حيث يسكن الربّ. واتّفق أنّ أحد أبنائه الروحيّين كان في روما، ومرّ، وهو برفقة صديقةٍ أمام كنيسةٍ، وخجل من رفع قبّعته مثلما اعتاد، كلّما مرّ بقرب بيت الله. وبغتةً، انتفض

ذعرًا لمّا سمع صوت پادري پيّو يقول له بنبرة عتابٍ عنيفةٍ: "يا جبان"، وسارع إلى استقلال قطارٍ إلى سان جوڤانيّ، حيث سمع ما أذابه خجلًا، إذ صاح الأب في وجهه: "حذارِ، هذه المرّة سأكتفي بتأنيبك. ولكن إذا أعدتَ الكرّة، فستتلقّى صفعةً مدوّيةً". واستحلف الشابّ أن لا يمزح في شؤون المقدّسات.

- ذات يومٍ، لحظ المجتمعون في السكرستيّا، أنّ پادري پيّو يلاحق بنظره، من كرسيّ الاعتراف، شخصًا يحاول باستمرارٍ التخفّي وراء الآخرين، وكان الشخص غريبًا حديث الوصول، ولكأنّ نظر الأب كان يخترقه، وهو يجهد في النأي عنه. وبعد لحظاتٍ، أشار إليه الأب بالاقتراب منه، فقال الرجل لشخصٍ قريبٍ منه: "إنّه لا يعرفني، ولم يرَني قطّ". ومع ذلك كان الأب يدعوه، ولم يكن له مَهربٌ من الاستجابة لدعوته، فاقترب مكرَهًا، وسمع الأب پيّو يهمس في أذنه": "أيّها الأب، ارتدِ ثوبك، وعد إليّ، كي أسمع اعترافك"، وللحال أطلق الرجل ساقَيْه للريح. وتبيّن أنّه كاهنٌ دومينيكيٌّ، قد جاء متنكّرًا بزيٍّ مدنيٍّ، بقصد امتحان قدرات الأب پيّو.

★) رسالةٌ معطّرةٌ

كان على زوجين بولونيَّيْن مقيمَيْن في إنكلترا اتّخاذ قرارٍ خطيرٍ، وبعد الموازنة بين الإيجابيّ والسلبيّ عجزا عن جلاء الحلّ، وأخذت بهما الحيرة كلّ مأخذٍ. فنصحهما صديقٌ باستشارة الأب بيّو، فراسلاه ولم يتلقّيا جوابًا، وحينئذٍ، عقدا العزم على الذهاب إليه والحصول على نصحه، مواجهةً.

وبما أنّ المسافة شاسعةٌ بين إنكلترا وجنوب إيطاليا، توقّفا ليلةً في مدينة بيرن السويسريّة، في فندقٍ رثٍّ رخيصٍ. وحينئذٍ، قيل لهما أنّ پادري پيّو محتجزٌ، وقد لا يستطيعان مقابلته، فيذهب تعبهما ومالهما هدرًا. وكان الوقت شتاءً، والثلج يتهاطل، والفندق الرخيص الذي استأجرا فيه لا تدفئة فيه، وكادا ييأسان ويعودان القهقرى. وإذ بعطرٍ عذبٍ ونفّاذٍ يغمرهما، ويشيع فيهما الراحة. وعبثًا حاولت الزوجة البحث عن زجاجة عطرٍ قد يكون نسيها نازلٌ، مع بطلان ذلك الاحتمال، فنزلاء ذلك الفندق الزريّ ليسوا ممّن يستخدمون عطورًا فاخرةً. وسرعان ما غاب العطر، وعادت الغرفة تبعث، من جديدٍ،

روائح التعفّن، غير أنّهما تلقّفا تلك الإشارة، وواصلا رحلتهما إلى سان جوڤانيّ رُتوندو، حيث استقبلهما پادري پيّو بالترحاب. وبادر الزوج الذي كان ملمًّا باللغة الإيطاليّة، بقوله: "راسلناك ولم تجبْ".

- "كيف لم أجبْ؟ وماذا عن العطر الذي تنشّقتماه في الفندق السويسريّ مساء أمس".

وبكلماتٍ موجزةٍ حلّ الراهب معضلتهما، فعادا يضجّان فرحًا.

كان العطر إحدى وسائل مراسلة پادري پيّو.

★) يتخفّى عن الفضوليّين

١– كان قد تعذّر على فريقٍ من الحجّاج الاقتراب من پادري پيّو، فدبّروا خطّةً، ووقفوا أمام باب صومعته كي يستطيعوا إيقافه والتملّي من رؤيته عن كثبٍ. وطال انتظارهم ساعةً، فساعتين، فثلاث ساعاتٍ، ورغم ذلك لم يفقدوا الأمل في اصطياده، فهو سيخرج حتمًا، وليس له مخرجٌ سوى ذلك الباب.

وبعد انتظارهم الطويل مرّ راهبٌ، فسألهم عن سبب اجتماعهم ووقوفهم أمام باب صومعة الأب پيّو، فاعترفوا بمخطّطهم، فأجابهم أنّ الأب هو منذ أكثر من ساعتين في كرسيّ الاعتراف...

فسألوه: ولكن من أين خرج؟

فقال: مؤكدٌ من هذا الباب، ولكنّه يتخفّى عن الفضوليّين، ويظهر لطالبي الاعتراف. وأنتم لم ترَوه، لأنّه لم يُرِد أن ترَوه.

٢– ذات يومٍ، ذُهِل سكّان سان جوڤانّي رُتوندو بتوقّف سيّارةٍ فاخرةٍ في ساحة الكنيسة، يقودها شابٌّ، تبدو عليه مظاهر المجون والاستهزاء، وانحدرت منها طغمةٌ من الفتيات المبهرجات،

بألبستهنّ القصيرة الخلاعيّة، وكأنّهم قاصدون السخريّة بالپادري. وسأل الشابّ ساخرًا: "أين هو پادري پيّو، فأريد أن أرتدّ وأقدّس نفسي"، فيما كانت الفتيات يطلقنَ قهقهاتٍ وقحةً. ولكنّ البوّاب عندما سمع رغبة الشابّ في الارتداد، قال له: "اذهبوا إلى السكرستيّا، فالأب يعرّف فيها"، واجتازت الجماعة الماجنة الكنيسة اجتيازهم لحانةٍ. وسأل الشابّ أين هو پادري پيّو؟

- لقد خرج للتوّ. لا ريب أنّكم التقيتم به.

ذهلوا، وحدّق فيهم المؤمنون، إذ لم يلحظ أحدٌ خروجه. وانطلق خدّام الكنيسة والرهبان، يبحثون عنه في كلّ مكانٍ، ولكنّهم عادوا معلنين فشلهم في العثور عليه. وأخذ بالزائرين سيّئي النوايا حَنَقٌ قاتلٌ، فهرعوا إلى سيّارتهم التي انطلقت بسرعةٍ رعناء وسط عاصفةٍ من الشتائم واللعنات وزوبعةٍ من الغبار، وربّما عاد بعضهم، لاحقًا، نادمين.

★) ارتداد رجلٍ شيوعيٍّ

تروي ماريّا ڤينوفسكا، أنّ صديقةً لها كانت قد أعطت كتابها عن پادري پيّو إلى زوجة سائق قطارٍ، منتمٍ إلى الحزب الشيوعيّ، لا يطيق سماع اسم الكهنة. وكان للزوجين ولدٌ مصابٌ بتشوّهاتٍ خلقيّةٍ، وبعللٍ قلبيّةٍ. وطالعت الوالدة الكتاب خفيةً عن زوجها. ولمّا فقدا الرجاء في شفاء ابنهما المريض، تجرّأت المرأة، واقترحت الاستعانة بپادري پيّو. ردّة فعل الوالد الأولى كانت غضبًا مدوّيًا. ولمّا هدأ روعه، قال في ذاته فلنجرّب، فربّما كان ذلك الكاهن ساحرًا. وتكدّس أفراد الأسرة في سيّارةٍ عتيقةٍ مستعارةٍ، ومضوا إلى سان جوڤانّي رُتوندو.

انتهوا إليها والمريض في حالة احتضارٍ. وسُمِح له ولوالده فقط الدخول إلى السكرستيّا، إذ لم يكن الأب پيّو يستقبل، حينذاك، سوى الرجال. وكانت السكرستيّا تغصّ بالحشود، غير أنّ پادري پيّو، لحظ وصول القادمَيْن الجديدَيْن، وبأسلوبه الخشن، قال للصبيّ: "أنت مريضٌ أكثر منّي"، وأنزل بيده المغطّاة بقفّازٍ ضربةً على قلبه، وقال: "والآن امضوا".

امتعض الوالد ممّا حدث، وانهال بالعتاب على زوجته، ملقيًا تبعات رحلتهما الفاشلة عليها. في طريق العودة تفاقمت حالة الصبيّ سوءًا، وكان الوالد لا يكفّ عن الشتيمة والتجديف. ولكن سرعان ما أخذت حالته في التحسّن، ولمّا وصلوا إلى المنزل ارتقى سلّم طبقة البناء الثالثة، كلّ أربع درجاتٍ، بخطوةٍ واحدةٍ، وكأنّه يقفز. وهو الذي لم يشتهِ الطعام من قبل، أقبل على الطعام بنهمٍ.

وفي اليوم التالي، أعلن أطبّاؤه شفاءه التامّ. وشرع يزداد وزنًا. وبات على الوالدين أن يوفّرا له، كلّ يومٍ، قطعتَي لحمٍ كبيرتَيْن، كي يشبعا جوعه.

وانقلب الوالد روحيًّا، وعاد إلى الكنيسة وإلى ممارسة الأسرار.

★) إبليس في زيّ مرشدٍ

قبيل سيامة الأب بيّو الكهنوتيّة، التي كان إبليس يخشى عواقبها عليه، حاول صرفه عنها، من خلال إحدى الحيل، التي يبرع في حبكها. فذات يومٍ، قُرِع باب صومعته قرعًا خفيفًا، ودخل مرشده الأب أغوستينو مبتسمًا، مع أنّه لم يكن آنذاك، في الدير عينه، حيث يقيم الأخ بيّو. وبعد بضع عبارات مجاملةٍ، شرع الضيف يوبّخ الأخ، أوّلًا برقّةٍ، محاولًا إقناعه بأنّه ليس مناسبًا للحياة الرهبانيّة الكبّوشيّة، التي لا يساعده عليها وضعه الصحّيّ الهزيل. وادّعى أنّ هذا الهزال هو إشارةٌ من السماء، تدعوه إلى العزوف عن الحياة الفرنسيسكانيّة، وأداء رسالةٍ أُخرى في العالم.

وبالإجمال، جهد الضيف في إقناع الأخ بالعودة إلى قريته، والمكوث فيها حتّى استعادته صحّته كاملةً، وحينئذٍ، سيكون بوسعه العودة إلى الدير الذي سيفتح له ذراعيه.

بادئ الأمر، استمع الأخ لمرشده المزعوم بانتباهٍ، ولكن ما لبثت أن تسرّبت الريبة إلى نفسه، فمرشده لم يُسمعه قطّ، مثل هذه

النصائح. فالتمس، داخليًّا، مؤازرة السماء. واستسنح لحظة توقّف ضيفه عن الكلام، فقال له: "أنت تعرف، يا أبتِ، أنّ مشيئة الله وحدَها هي التي تهمّني. ولكي أتأكّد من صحّة نصائحك أرجوك، أن تهتف معي، بأعلى صوتك: "المجد ليسوع".

وفي الحال، تحوّل الضيف دخانًا وتبدّد مخلّفًا رائحةً كريهةً، تكشف هويّته الحقيقيّة.

★) إنقاذ جنرالٍ من الانتحار

في خريف عام ١٩١٧، كان پادري پيّو، أثناء خدمته العسكريّة في ناپولي، قد نُقل إلى المشفى العسكريّ الرئيس، حيث مكث نحو شهرٍ، بعد أن تدهورت حالته الصحّيّة تدهورًا مقلقًا.

وفي ذلك الخريف مُنِيَت إيطاليا بهزيمةٍ عسكريّةٍ نكراء مدوّيةٍ، على يد جنود نمساويّين وألمانٍ، ولقي من جرّائها أربعون ألف جنديٍّ حتفَهم، وجُرِح فيها تسعون ألفًا، وأُسِر واستسلم للعدوّ ثلاث مئة ألفٍ، واستحوذ على الإيطاليّين شعورٌ مريرٌ بالمهانة، فتخلّى قائد الجيوش الإيطاليّة عن مركزه لآخر، وقرّر الانتحار. وانزوى في مكتبه بمدينة "تريفيزو"، ووضع مسدّسه أمامه، وفيما كان يتأهّب لإطلاق رصاصة النجاة من العار، اقتحم حجرته راهبٌ كبّوشيٌّ، وأسهب في تهدئة روعه وصرفه عن جريمة الانتحار، ثمّ توارى فجأةً مثلما جاء. وحينئذٍ، استدعى الضابط الحرس المحتشدين حول حجرته، وأنّبهم لسماحهم لراهبٍ باقتحام خلوته من غير إعلامه، ولكنّهم أنكروا جميعهم رؤية أحدٍ يدخل ويخرج. وكان الربّ هو الذي كلّف پادري

بيّو بالقيام بهذه الرحلة الخلاصيّة، فيما كان راقدًا على سرير المستشفى في ناپولي.

وكتم پادري بيّو هذا الحدث، ولكان ظلّ مجهولًا، لو لم يروِهِ الجنرال بنفسه، بعد أن شاهد، يومًا، صورةً للأب بيّو، وتعرّف فيه منقذه.

★) ارتداد ماسونيٍّ بارزٍ

المحامي "شيزاري فيستا" (Cesare Fiesta)، كان يتبوّأ في الماسونيّة أرفع المراتب، وكان من أعتى المعادين للدّين الذي يعدّه خرافةً من مخلّفات عهودٍ غابرةٍ. وغالبًا، ما تناقش في الأمر مع ابن عمّه الدكتور جورجيو فيستا، الذي كان قد فحص سِمات الأب پيّو، وأيقن، يقينًا منيعًا، بطابعها فائق الطبيعة، وقال ذات يومٍ، لابن عمّه المحامي الملحد: "امضِ إلى سان جوڤانيّ رُتوندو، حيث ستلتقي شاهدًا يدمّر بضربةٍ واحدةٍ كلّ اعتراضاتك، وقناعاتك الدينيّة. امضِ إليه وقابله، وبعدئذٍ، سنستأنف نقاشاتنا".

وفي شهر آذار ١٩٢١، يمّم المحامي شيزاري فيستا شطر سان جوڤانيّ رُتوندو، تحدوه، لا الرغبة في تبديد شكوكه الدينيّة، بل العزيمة على فضح خدعة الراهب الكبّوشيّ، والخرافات التي يشيعها الكبّوشيّون في ذلك الدير، أمام إخوانه الماسونيّين. ولكن منذ دخوله إلى السكرستيّا، هبّ پيّو لملاقاته، وبادره بالقول: "ماذا جاء يفعل هنا هذا الماسونيّ؟"، ولم ينكر المحامي انتسابه إلى الماسونيّة، وآنذاك، سأله

بيّو: "وما الدور الذي يلعبه الضيف الماسونيّ؟" فأجابه المحامي بلا تردّدٍ: "محاربة الكنيسة".

اكتفى الراهب بالإشارة إلى المحامي أن يركع في كرسيّ الاعتراف، ولم يقوَ المحامي الملحد على مقاومة أمر الراهب، فركع وأفرغ كلّ جعبة اعتراضاته على الكنيسة، وبمساعدة الكاهن سرد تاريخ حياته، وفي هذه الأثناء كانت تغمر نفسه أمواج من العبير زكيّ الرائحة، وفي الآن عينه كان يشعر أنّ تحفّظاته على الكنيسة تتهاوى واحدًا فواحدًا، وكان السلام يقتحم نفسه، ويجعله يتقبّل بفرحٍ كلمات الرحمة والنصائح التي كان يغدقها عليه الراهب الكبّوشيّ.

مكث المحامي التائب ثلاثة أيّامٍ في الدير قبل عودته إلى مدينته جنوى، حيث أعلن ارتداده الذي احتلّ عناوين الصحف بحروفٍ بارزةٍ. ثمّ قام بحجٍّ إلى لورد، وعاد إلى سان جوڤانيّ رُتوندو، وتلقّى من يد الأب بيّو شارة انتسابه إلى النظام الفرنسيسكانيّ الثالث. وفي ١٩٢١/١٢/٢٧، استقبل البابا بينيدكتُس الخامس عشر ذلك المرتدّ الاستثنائيّ. فأكّد للبابا عميق تقديره لپادري بيّو، رغم التقارير الملفّقة، والافتراءات التي كانت تُساق بحقّه.

وقد أوصى الحبر الأعظم المحامي فيستا، قائلًا:

"إنّ پادري پيّو هو رجل الله، فتولَّ التعريف عنه، لأنّه لا ينال من كثيرين التقدير الذي يستحقّه".

كانت لارتداد شيزاري فيستا أصداءٌ مدوّيةٌ، وأثارَ نقاشاتٍ حادّةً. وأسهبت الصحيفة الناطقة باسم الماسونيّين في السخريّة من ماسونيٍّ، يقضي أوقاته بين لورد ودير الكبّوشيّين. وعقد المحفل الماسونيّ الإيطاليّ اجتماعًا، من أجل طرد المحامي المارق من صفوفه. ووطّن هذا الأخير عزمه على حضور الجلسة والإدلاء بشهادته، وكان قد تلقّى من پادري پيّو بطاقةً، تقول: "لا تستحِ من المسيح ومن تعليمه. لقد حان أوان الكفاح جهارًا. وإنّ مانح كلّ خيرٍ سيهبك القوّة".

★) مَن حوّل رصاصة القاتل؟

لمّا أطلق القاتل المأجور الإرهابيّ التركيّ "علي أكجا" على البابا يوحنّا بولس الثاني، لم يخامره ظلّ شكٍّ، بأنّ رصاصته ستقضي على حياة الحبر الأعظم، فهو كان قد اختير لهذه المهمة لمهارته الخارقة في إصابة أهدافه، وكان هدفه مكشوفًا أمامه، ولا يبعد عنه أكثر من ثلاثة أمتارٍ. غير أنّ الجرّاحين الذين عكفوا على استخراج الرصاصة من أحشائه، أُصيبوا بالدهشة لمّا تبيّنوا الطريق المتعرّج الذي سلكته الرصاصة، بحيث لم تصِبْ فيه مقتلًا، وهذا ما أكّده البابا نفسه، بقوله: "يدٌ أطلقت رصاصةً، ويدٌ حوّلت مسارَها". واعترف القاتل أنّ راهبةً ظهرت فجأةً، وأمسكت بيده، فحوّلت مسار الرصاصة، وحالت دون إطلاق رصاصةٍ ثالثةٍ، لا تدع فرصةً لنجاته.

ثمّ أظهرت التحقيقات أنّ الراهبة التي أمسكت به، ومنعته من الهرب، حتّى إلقاء القبض عليه، ليست هي الراهبة التي أمسكت بيده حسب تأكيد القاتل نفسه، وظلّ سرّ الراهبة التي حالت دون حرمان الكنيسة والعالم من قدّيسٍ بطلٍ، حوّل مجرى تاريخهما، مطويًّا.

لقد اعترف "أكجا" للمحقّق حرفيًّا: "كان هدفي قتل البابا. تلك كانت المهمّة التي أوكلت إليّ، وأطلقتُ رصاصتَيْن. ولكنّ راهبةً كانت بجانبي، أمسكت بساعدي اليمنى، ولم أستطع متابعة إطلاق النار. لولا ذلك، لكنتُ قضيتُ عليه.

اعترفت الأخت لوتشيّا، التي منعت القاتل من الهروب، أنّها كانت بعيدةً عنه، ولمّا رأت تقاعس القريبين من القاتل عن إمساكه، اضطرّت إلى عرقلة هروبه.

ثمّ عثر كاتبٌ على رواية إحدى بنات پادري پيّو الروحيّات، التي كانت تُدعى كريستينا مونتيلّا، وانتسبت إلى جماعة پادري پيّو، وهو الذي هداها إلى طريق تكريسها ذاتها لله، فأصبحت راهبةً أوغسطينيّةً. واعتنقت اسم ريتّا، وساقت سيرة قداسة، وتوفّيت عام ١٩٩٢، في دير بمنطقة توسكانا الإيطاليّة. وقد أكّد هذه الرّواية مرشدها الروحيّ الأب الكبّوشيّ "پيّوفيلو دَل يوزّو"، الرئيس الإقليميّ للأب پيّو وصديقه، والذي تسنّى له الاطّلاع على "الرسالات" الروحيّة المشتركة، التي كان پادري پيّو يضطلع بها مع تلك الراهبة، التي أكرمها الله بمثل ما أكرمه من ميزاتٍ نادرةٍ، مثل الوجود في أماكن مختلفةٍ في

آنٍ واحدٍ. وقد اعترفت الراهبة لمرشدها المذكور، بعد أن وعدها حفظ سرّها إلى ما بعد وفاتها، أنّها بطلبٍ سرّيٍّ من پادري پيّو، وُجدت، روحيًّا، يوم ١٩٨١/٥/١٣، في ساحة كنيسة القدّيس بطرس، لكي تشارك السيّدة العذراء في تحويل مسار الرصاصة، التي حاول بها القاتل خطف حياة البابا يوحنّا بولس الثاني، وفقًا لاعترافها الحرفيّ.

ولا ريب، أنّ نصاعة حياة كلٍّ من الراهبة ريتّا، وپادري پيّو، تقوم مقام مصداقٍ لهذه الرواية.

وكانت الأخت ريتّا، قد باحت، عفوًا عن غير قصدٍ، لإحدى صديقاتها، "كم كلّفني من تضحياتٍ إبعاد خطر الموت عن البابا يوحنّا بولس الثاني، يوم تعرّض للاغتيال!"

أعلنت الأخت ريتّا لمرشدها: "لن يبوح القاتل بما يعرفه، الرّصاصات التي أصابت الحبر الأعظم، كانت مسمّمةً. كان معه شريكان استطاعا الفرار. كانت هناك مؤامرةٌ دوليّةٌ ضدّ البابا والكنيسة جمعاء". كلّ هذه التفاصيل ثبتت صحّتها.

★) مداخلتان عن بعدٍ

في مطلع عام ١٩٢١، كانت الراهبة الأخت "تيريزا سلڤادورِس" في الأوروغواي، تعاني علّةً قلبيّةً خطيرةً، وإصاباتٍ في شرايين قلبها، واضطراباتٍ خطيرةً ناجمةً عن قرحةٍ في معدتها. وأعلن الأطبّاء عجزهم عن شفائها، وأمست طريحة فراشها، وفي حاجةٍ إلى أخواتها للقيام بأدنى حركةٍ. ولمّا أُحيطت أخواتها الراهبات علمًا بالراهب الإيطاليّ الذي يحمل سمات الصلب، بعثنَ له برسالة استشفاعٍ، ولكن كان الوقت قد فات. فقبل وصول الرسالة إلى غايتها، أشرفت الراهبة على الرحيل إلى خالقها. وفي تلك اللحظة، وصلت إلى الدير امرأةٌ من قريبات الأسقف "دامياني" القادم لتوّه من إيطاليا، حيث زار الأب پيّو، وأُخِذ بقداسته ومدى قربه من الله، ورسّخ تقديره له هذا قول البابا بينيدكتُس الخامس عشر له: "إنّ پيّو حقًّا إنسانٌ استثنائيٌّ، من الذين يوفدهم الله بين حينٍ وآخر، من أجل ردّ البشر إلى الله". وحصل الأسقف "دامياني" من الأب پيّو على قفّازٍ مبلّلٍ بدمه. وروت الراهبة ما حدث حينئذٍ، فقالت: "وَضَعت الأخوات القفّاز على جنبي، حيث كان ورمٌ بحجم الكفّ، ثمّ على عنقي حيث كنت أشعر بالاختناق.

وما لبثتُ أن غفوتُ، وحلمتُ بأنّ پادري پيّو يلمس مكان الوجع في جانبي، وقال لي كلماتٍ ليست من هذا العالم. وبعد مضيّ ثلاث ساعاتٍ استيقظتُ وطلبتُ ثوبي، ونهضتُ بمفردي من السرير، الذي سُمِّرتُ عليه مدى أشهرٍ، وانحدرتُ، بلا مساعدة أحدٍ، إلى الكاپيلّا... وظهرًا، مضيتُ إلى قاعة الطعام، ومع أنّني كنتُ مدى سنواتٍ قد أقلعتُ عن الطعام، تناولت منه أكثر من جميع الأخوات الأخريات. ومنذئذٍ، زالت كلّ آلامي.

وقد أعاد فحصها طبّيًّا الدكتور مريلّي، الأستاذ في جامعة مونتيڤيديو، بعد مضيّ ثلاث سنواتٍ على شفائها، وأكّد أنّها منذ شفائها، أكبّت على عملٍ جاهدٍ لا يفتُر، ولم تحتج، قطّ، إلى أيّ علاجٍ أو دواءٍ. ومنذئذٍ، أصبحت من مكرّمي پادري پيّو.

ولكنّ القصّة لم تتوقّف هنا. فقد كان الأب پيّو قد وعد الأسقف "دامياني" لدى وداعه، بالوقوف إلى جانبه ساعة وفاته، وحقّق وعده بعد عشر سنواتٍ، عندما احتفل الأسقف بمرور خمسٍ وعشرين سنةً على أُسقفيّته. وكان قد توافد رهطٌ من أساقفة الأوروغواي لمشاركته هذه الذكرى. وبعد أن انصرف المهنّئون ليلًا، وآوى كلٌّ منهم إلى

سريره، سمع رئيس أساقفة مونتيڤيديو قرعًا على بابه، فأفاق، ولمح عند الباب راهبًا كبّوشيًّا، يقول له: "إنّ الأُسقف دامياني يحتضر، فأسرِعوا إليه". فأيقظ رئيس الأساقفة ثلّةً من أعوانه وهرعوا إلى سرير الأسقف دامياني، الذي كان يحتضر، وفي يده ورقةٌ دوّن عليها بجهدٍ دعاءً إلى الأب پيّو. وما كاد رئيس الأساقفة يمسحه بمسحة المحتضرين، حتّى لفظ أنفاسه الأخيرة.

★) امتحانٌ ينقلب برهانًا

كان كاهن رعيةٍ يعتقد أنّ كثيرين من أبناء رعيّته، يُسرفون في تقدير بادري پيّو، وربّما شاب انزعاجه من هذا الإسراف شيءٌ من الغيرة. ولمّا همّ أحدهم بالحجّ إلى سان جوڤانّي، أحبّ امتحان قدرات الراهب الكبّوشيّ. وهو، ضمنًا، كان يبتغي ثني ابن رعيّته عن المغالاة في كلَفه به. فأعطاه رسالةً مختومةً، وطلب منه المجيء بالإجابة عليها. وقبل أن يكلّم الحاجّ الأب پيّو، بادره هذا الأخير، بقوله: "أخرج من جيبك الرسالة المختومة، واكتب على ظرفها المختوم جوابي، وأملى عليه جوابه بإيجازٍ.

وعاد الحاجّ إلى قريته، وسلّم كاهن رعيّته الرسالة المختومة، وقرأ الكاهن الجواب المدوّن عليها، فشحب لونه، وكاد يغمى عليه، فقد كان جواب الراهب الكبّوشي، هو، بالضبط، ما توقّعه.

★) اعترافٌ صامتٌ

كان حشدٌ قد التفّ حول رجلٍ دعاهم إلى سماع قصّته، شافعًا أقواله بإشاراتٍ معبّرةٍ، وكأنّه من أبرع الممثّلين، وقال:

منذ خمسٍ وثلاثين سنةً، أنكرتُ الله والعذراء والقدّيسين، ونهجتُ حياةً تُفضي إلى جهنّم، أي حياة هلاكٍ. وذات يومٍ، التقيت إحدى بنات پيّو الروحيّات، فقالت لي: "امضِ إلى سان جوڤانّي، فتخلُص". فأغرقتُ في الضحك، وأجبتها: "إذا كنتِ تتخيّلين أنّني سأكون لقمةً سائغةً في فمِ أبيك، فأنتِ مخطئةٌ". ومع ذلك، أرّقتني الفكرة التي دأبت على الحفر، كما يحفر المثقب. وأخيرًا عزمتُ على المحاولة، ووصلتُ إلى هنا مساء الأمس، ولم أجد مكانًا مريحًا للإقامة والطعام... وفي الليل، تواردت خطاياي إلى ذهني، كما لم أرَها قطّ، عن كثبٍ. جرى أمامي استعراض خطايا مريعٌ، ونضحْتُ عرقًا، وعند الساعة الثانية فجرًا، دوّت كلّ منبّهات الحيّ معًا، فاستيقظتُ مثل الآخرين، وأنا ألعن غاضبًا، وأجدّف. ومع ذلك، دفعني شيءٌ إلى الكنيسة، وحضرت قدّاس الأب پيّو، ويا له من قدّاسٍ! حاولتُ المقاومة، والصمود، عبثًا. حتّى تفجّر رأسي وهويت.

بعد القدّاس، سرتُ وراء الرجال، آليًّا، نحو السكرستيّا. فقد كنتُ راغبًا في رؤية پادري پيّو عن قربٍ، وأن أراقب جراحَه. فجاء نحوي، وسألني: "ألا تشعر بيد الله على رأسك؟" فتمتمتُ: "اسمعْ اعترافي يا أبتِ"، فقال: "تعال". وما كدت أركع حتّى فرغ رأسي من محتواه، واستحال عليّ تذكّر خطاياي التي كنتُ أراها مثل كومة وحلٍ زَلِقٍ، لا كما رأيتها ليلًا واحدةً واحدةً. انتظر الأب فترةً، ثمّ قال برقّةٍ: "تشجّع يا بنيّ"، وسرد لي جميع خطاياي. أسمعتم؟ جميعها، حتّى الخطايا التي لم يعلم بها أحدٌ وحتّى التي نسيتُها أنا. وما كان عليّ إلّا أن أقول نعم. ثمّ منحني الغفران، وها أنا أشعر أنّني طفلٌ، خفيفٌ، رشيقٌ. ونفسي تُنشد.

قال الأب لي: "اشكر العذراء".

وأنا أروي لكم كلّ ذلك، كي تشاركوني أنا الخاطئ شكري للعذراء.

★) شفاءٌ نفسيٌّ

كان پادري پيّو يدرك أنّ الربّ يؤثر، أحيانًا، شفاء النفس عوضًا عن شفاء الجسد، لأنّه أوفر فائدةً.

وأنصع دليلٍ على ذلك، ما حدث لابنه الروحيّ المكرَّم "جياكومو غالفيوني" (Giacomo Galfione)، مؤسّس "رسالة الألم"، الذي شُلّ منذ مطلع شبابه، وأمسى طريح الفراش. فجيء به إلى پادري پيّو. ولكن، مُذ قابل الشابّ العليل الكاهن القدّيس، تحوّلت مشاعره ورغباته تحوّلًا جذريًّا، وتخلّى عمّا كان يمنّي به نفسه. فلم يطلب الشفاء، وأقرّ لاحقًا:

"بغتةً، غزا نفسي فرحٌ غامرٌ، وضربٌ من السعادة القصوى".

وعاد إلى مسقط رأسه في ناپولي، وهو ما زال مشلولًا، مُقْعدًا، متألّمًا، ولكن سعيدًا، طافح النفس قدرةً عظمى على بثّ العزاء والرجاء في نفوس الآخرين.

وقضى، بعدئذٍ، ثلاثين سنةً دائبًا على زيارة المرضى، ومراسلتهم، وحثّهم على الصلاة للسيّدة العذراء، وزيارة پادري پيّو، وعلى تقبّل الألم تقبّلهم لنعمة مشاركة المخلّص آلامه.

ورأى الأب پيّو في ابنه الروحيّ هذا، الذي عزف عن طلب الشفاء الجسديّ، أروع مثالٍ في تنفيذ شعاره:

"السبيل الأمثل لحمل الصليب، هو تحقيق مشيئة الله، والعزوف عن الرغبة في أيّ شيءٍ من أجل الذات. وانتظار كلّ شيءٍ من الربّ".

★) إنقاذ طفلٍ من الموت

في مطلع عام ١٩٥٧، أُصيب صبيٌّ في السادسة من عمره، كان ابن عاملٍ عاطلٍ عن العمل في مدينةٍ فرنسيّةٍ، بالتهاب سحايا شديدٍ ومعدٍ، وشرع يهذي، معانيًا أهوال النّزاع. وتوقّع الطبيب الذي كان يعالجه في المستشفى إمكانيّة رحيله في الغداة إلى العالم الآخر.

وشكت أمّه المسكينة همّها الهاصر إلى جيرانها الطيّبين، الذين ومضت في أذهانهم فكرةٌ عبقريّةٌ، فقالوا لها: "إذا سمحتِ لنا، فسنرسل في الحال برقيّةً باسمك، إلى كاهنٍ قدّيسٍ في إيطاليا، نلتمس بها الدعاء والبركة من أجل شفاء طفلك المحتضر". سُرّت الأمّ بالفكرة، وأُرسلت البرقيّة في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر. ومضت الوالدة إلى المشفى عند الساعة الثالثة، فوجدت أنّ حرارة ابنها قد قفزت إلى ٤١ درجةً، وحيال انهيارها أمام مشهد تشنّجات آلام طفلها، رجتها الراهبة المناوبة بمغادرة المستشفى، لكي تقيها من آلام مشاهدة وفاة ابنها... ولكنّها لم تُطِقِ البعاد عنه وهو يعاني سكرات الموت وسط آلامٍ ممضّةٍ. وبغتةً، عند الساعة الرابعة هبطت حرارة الطفل إلى معدّلها

الطبيعيّ، أي ٣٧ درجةً، وعاد إليه سكونه، وتبيّن أنّه نجا من الخطر، فقد كانت البرقيّة وصلت إلى پادري پيّو. وفي الحال صلّى واستجاب الربّ لصلاته.

ولمّا عادت الأمّ إلى المشفى صباح اليوم التالي، بادرها الطبيب المعالج بقوله: "لم أعد أفهم شيئًا ممّا حدث. فابنكِ لم ينجُ فحسب، بل زال مرضه ولم يخلّف أثرًا. ومع ذلك، أنا أفضّل أن أراقبه عن كثبٍ بضعة أيّامٍ أُخرى، تحسّبًا لأيّ طارئٍ، غير أنّ الأُمّ أصرّت على العودة بابنها إلى البيت، لا بسبب عجزها عن دفع كلفة المشفى، من جرّاء بطالة زوجها، بل لأنّها كانت واثقةً بمَن شفاه. وفي غمرة فرحها هبّت إلى زفّ النبأ إلى الجيران الطيّبين، ووجدت عندهم كتابًا يروي سيرة پادري پيّو، ويحمل علامة صورة الراهب القدّيس، فتأبّطته وعادت به إلى المشفى تضجّ جذلًا، وألقته على سرير الطفل، الذي هتف في الحال: "أنا أعرف هذا الكاهن، الذي زارني مرّتين صباح اليوم. وكان يرتّل لكي يطرد عنّي الخوف...". واعترضت الوالدة في دهشتها: "وكيف يمكن لهذا الكاهن المقيم على مسافة ألفي كيلومترٍ، أن يزورك هنا؟". ولكنّ ابنها ما انفكّ يؤكّد زيارة الكاهن له.

وحينئذٍ، تذكّرت الأمّ ما رواه الجيران، عن قدرة ذلك الكاهن على التواجد في مكانين في آنٍ واحدٍ، وشكرت له اجتيازه ألفي كيلومترٍ من أجل شفاء ابنها.

ولم تتوقّف المعجزة عند شفاء الصبيّ، بل كان لها وقعٌ روحيٌّ حاسمٌ على الوالدين، اللذين كانا يعيشان منذ سنواتٍ، وقد أنجبا ثمانية أولادٍ بلا زواجٍ كنسيٍّ، وحيال الهديّة الثمينة التي منّ عليهما الربّ من خلال كاهنٍ قدّيسٍ، قرّرا الحصول على بركات زواجٍ كنسيٍّ، وحصلا عليه، وتذوّقا طعم السعادة الحقّة المنزّهة من كلّ عَكَرٍ.

ومنذئذٍ، ما انفكّ الطفل دانييل، الذي ضجّ صحّةً، ونشاطًا، يهمس في أذن أمّه: "عندما أكبر، سأصبح كاهنًا". ذاك هو سرّ قداسة پادري پيّو، من خلال شفاء أمراض الجسد، ينفذ إلى أوصاب النفوس، ويبرئها.

★) ارتداد محامٍ ماسونيٍّ

محامٍ ماسونيٌّ من مدينة بولونيا الإيطاليّة، معادٍ شرسٌ للدين وللكهنة، أُصِيبت زوجته بورَمٍ سرطانيٍّ، لم يتوقّع له الطبّ شفاءً. وبدا موتها محتّمًا وسريعًا. وكان زوجها ملازمًا لها في المستشفى. وذات يومٍ، طلبت منه الذهاب إلى پادري پيّو، والتماس معجزة شفائها، بعد أن تنامت إلى مسامعها رواياتٌ عديدةٌ عن شفاءاتٍ عجيبةٍ، تحقّقت بشفاعته.

لم تكن تجهل مقت زوجها لجميع رجال الدين، ولكن لم يكن لها أملٌ في شفاءٍ سوى پادري پيّو.

للوهلة الأولى اتّسمت ردّة فعل المحامي بالغضب والسخريّة. ولكنّه أمام انفجار دموع يأس زوجته، استسلم لطلبها، وهو يقول: "حسنًا، سأذهب، لا إيمانًا بما يُقال، ولا أملًا في حدوث شفاءٍ، ولكن لكي أُجرّب ربح ورقة يانصيبٍ".

وفي اليوم التالي، كان في سان جوڤانيّ رُتوندو، وحضر قدّاس الأب پيّو الصباحيّ، وانتظم في طابور طالبي الاعتراف. ولمّا حان دوره، ظلّ واقفًا، وقال للأب إنّه يريد محادثته بضع لحظاتٍ،

ولكنّه فوجئ بردّ الكاهن الحازم: "أيّها الشابّ، لا تهدر وقتي! عمّا جئت تبحث؟".

- "عن ربح ورقة يانصيبٍ".
- "إذا أردتَ الاعتراف فاركعْ، وإلّا دعني أسمع اعترافات هؤلاء المساكين المنتظرين". ثمّ ردّد على مسامعه ما كان قد قاله لزوجته، حرفيًّا، قبل يومين. فذُهِل، وامتثالًا للهجة الراهب التي لا تقبل نقاشًا، ركع بلا تفكيرٍ، ولكنّه لم يعرف ما يقول، لأنّ خطاياه لم تخطر بباله، وقد أمسى ذهنه صفحةً بيضاء. واعتراه الخوف من إثارة غضب الكاهن ثانيةً. وتابع روايته فقال:
- "ما كدت أركع حتّى تبدّلت لهجة الأب بيّو، وامتلأت لباقةً وحنكةً، ورِقّةً أبويّةً. وشرع يطرح أسئلةً كاشفًا النقاب عن خطايا حياتي الماضية واحدةً، فواحدةً. وما أكثرها. كنتُ مطأطئًا الرأس، أجيب على أسئلته بكلمة "نعم"، وكنتُ أزداد ذهولًا وتأثّرًا.

وأخيرًا، سألني: "أليس هناك خطيئةٌ أُخرى تعترف بها؟ فقلتُ: "لا"، وأنا مقتنعٌ، بعد كلّ ما سرد، وكشف عن كلّ أسرار حياتي، أنّه لم يعدْ لديّ ما أعترف به. وحينئذٍ، ذكّرني بحدثٍ قديمٍ، لم يكن بوسع

أحدٍ معرفته سواي. وحيال قدرة ذلك الراهب على نبش خفايا نفسي، انفجرتُ في البكاء. وفيما كنتُ مستسلمًا للنحيب، مغطّيًا وجهي بكفّيَّ، ومنطويًا على ذاتي، دنا من أذني، وتمتم، باكيًا: "يا بُنَيّ، لقد كلّفتَني أثمن دمي!".

وشعرتُ، حينئذٍ، بأنّ قلبي ينفلق إلى قسمَيْن، ولكأنّي طُعِنتُ بشفرتيْن. كنتُ أبكي مطأطِئًا رأسي، ولمّا رفعت وجهي المبلّل بالدموع، مردِّدًا: "عذرًا، عذرًا، عذرًا، عذرًا"، كانت ذراع الأب بيّو، قد طوّقت كتفي، وزاد هو اقترابًا منّي، وأخذ يشاركني البكاء، فغمر نفسي سلامٌ فائق العذوبة، وشعرتُ أنّ ألمي الأحمق، تحوّل فرحًا لا يوصَف. فقلت له: "يا أبتِ، أنا لك، فافعل لي ما تشاء!". وردّ، وهو يمسح عينيه: "ساعدني كي أساعد الآخرين". وأضاف: "بلّغ تحيّاتي لزوجتك".

ولمّا عدتُ إلى منزلي كانت زوجتي قد شُفيت.

★) كيف نال پادري پيّو شفاء راهبٍ زميلٍ له في ميلانو

بعد ظهر يومٍ من عام ١٩٦١، هرع الكاتب "سلڤاتوري كورّياس"، وصديقه المهندس "تولّيوناتّي" إلى دير الكبّوشيّين في ميلانو، إثر سماعهم نبأ نقل صديقهما، الأب "أنجيلو ماريّا" إلى مستشفى "سان كارلو" ووفاته فيه. لكن في الدير أُخبرا أنّ الأب أنجيلو ما زال حيًّا في المستشفى، إنّما في حالةٍ شديدة الخطورة. فزاراه في المستشفى، وطلبا منه أن يتشجّع، وألّا يفقد ثقته بالله، والأمل بالشفاء. وأكّد له "كورّياس"، أنّه سيصلّي له بحرارةٍ، وسيلتمس عون پادري پيّو. وغادراه مطمئنَّيْن.

وثابر كورّياس على الصلاة خمسةَ أيّامٍ، وخمسَ ليالٍ متتاليةٍ، إلى أن أُنبئ بأنّ الأب أنجيلو خرج من دائرة الخطر.

ولمّا عاد الأب أنجيلو إلى ديره، باح لأحد زملائه أنّه في غمرة علّته، رأى الأب پيّو يربّت على كتفه، ويبشّره بالشفاء، ومنذئذٍ، أخذت حالته بالتحسّن.

غير أنّ تأكيد مساهمة پادري پيّو في شفائه، جاء بعد نحو سنةٍ ونصف سنةٍ، عندما قَدِم إلى الدير في ميلانو راهبٌ من دير سان جوڤانيّ رُتوندو، وطلب مقابلة الأب أنجيلو، وروى له:

"كنتُ مكلّفًا بخدمة پادري پيّو. وذات يومٍ، قال لي: "منذ الآن، لستُ حاضرًا لأيٍّ كان ومهما كان السبب. فلا تسمح لأحدٍ بالدخول، فإنّ أحد إخوتنا يعاني مرضًا خطيرًا، ويحتاج إليّ. أذكّرك: لا أحد، ولأيّ سببٍ كان". ثمّ، جلس في مكتبه، وبسط ذراعيه على منضدته، وألقى رأسه عليهما. ومكث على هذه الحال، أكثر من عشر دقائق. ثمّ رفع رأسه على مهلٍ، وقال: "لقد رحلتُ إلى ميلانو، وتحسّن وضع أخينا الصحّيّ". وفي اليوم التالي أوصاني مثلما أوصاني في اليوم السابق، وكرّر الجلسة ذاتها. ولمّا رفع رأسه قال لي: "ما زال أخونا بحاجةٍ إلى غوثٍ". وتكرّرت جلساته على مدى خمسة أيّامٍ. وفي المرّة الأخيرة قال لي، وهو يرفع رأسه عن ساعديه: "أنا مسرورٌ الآن، ولم يعد عليّ السفر إلى ميلانو، فحال أخينا قد اصطلحت".

★) شفاءٌ من ورمٍ سرطانيٍّ لمفاويٍّ

روى أستاذ الفلسفة "ڤيشينزو ألّييڤي" (Vicenzo Allievi)، أنّ والده "ماسّيميليانو" (Massimiliano)، أُصيب بسرطانٍ لمفاويٍّ، ولم يكن للأستاذ "ڤيشينزو" من العمر، سوى سنةٍ واحدةٍ. وكانت تلك العلّة كارثةً مميتةً للأُسرة، التي أنفقت كلّ إمكانيّاتها في سبيل إنقاذه، ومعالجته لدى مختصّين ألمانيّين، فشلت كلّ محاولاتهم في شفائه، وأبلغوه أنّ فسحة العيش المتبقّية له لا تتعدّى ستّة أشهرٍ.

كانت رحلة عودته من ألمانيا مريعةً، ولو لم يلجمه قلقه على مصير طفله، لكان استسلم لفكرة قذف ذاته من نافذة القطار، التي ما انفكّت تراوده طوال الرحلة، لو لم يلجمه قلقه على مصير طفله.

ولدى عودته إلى المنزل، أقنعته كلٌّ من زوجته ووالدته باللجوء إلى الكاهن المدموغ بسمات الصلب، والذي كانت تُروى عن شفاعته، أشفيةٌ مدهشةٌ، فسلك طريق سان جوڤانّي رُتوندو. ومنذ وصوله إلى الدير، شاهد حشدًا ملتفًّا حول كاهنٍ، مسحورًا بحديثه العذب، وأيقن أنّه هو مقصده. ومذ لمحه الكاهن دعاه بإشارةٍ من إصبعه، ولمّا دنا منه بادره بالقول: "لك طفلٌ في سنّ سنةٍ واحدةٍ، ولكن ما هذا الذي في

عنقك؟ دعني أرَ. وبعد أن لمس عنقه، اكتفى بالقول: "امضِ. عُد إلى بيتك!"

هذا القول المُبهَم سرّب إلى نفس "ماسّيميليانو" القنوط والندم عن تجشّمه عناء رحلةٍ لا طائل منها، ولا سيّما أنّه لم يحظَ بفسحة الاعتراف، والتحدّث إلى الكاهن.

ولكنّه، اكتشف، عند استيقاظه، في الليلة التالية، ما جعله يزأر فرحًا، فقد تلاشى الورم، وعاد عنقه سليمًا. وكان شفاؤه تامًّا.

★) شفاء معلّمةٍ بريطانيّةٍ مشلولةٍ

يوم ١٩٧٣/١١/٢٧، تعرّضت المعلّمة البريطانيّة "أليس جونس" الخمسينيّة، لحادثٍ أدّى إلى شلل الجزء الأيسر من جسمها. وأظهر التصوير الشعاعيّ تقلّص أعصاب عمودها الفقريّ، وأُخضِعت لعمليّةٍ جراحيّةٍ لم تؤتِ نتيجةً.

وإثر محاولاتٍ متعدّدةٍ فاشلةٍ، أقرّ الأطبّاء تبدّد كلّ أملٍ بشفائها، فقد أمسى وضع عمودها الفقريّ في حالٍ يتعذّر معها السير.

كانت أليس بروتستانتيّةً، وعلم قسّيسٌ بمرضها، فعادها كي يواسيها. وبعد تبادلهما حديثًا مقتضبًا، ركع أمام سريرها وأخذ يصلّي. وحينئذٍ، رأت أليس شيخًا ذا لحيةٍ بيضاء، يفتح يديه ويصلّي، أيضًا، ولحظت المعلّمة العليلة ثقوبًا داميةً في راحتَيْ يديه، وخُيِّل إليها سماعه يقول لها: "انهضي وامشي". فامتثلت لأمره، واتّضح شفاؤها، وتوارى الشيخ، ونهض القسّيس مذهولًا.

بعد مضيّ بضعة أيّامٍ تعرّفت أليس، في صورةٍ للأب بيّو، الشيخ الذي ظهر لها وأمرها بالنهوض.

وتبيّن الأطبّاء الذين أعادوا تصويرها شعاعيًّا، شفاءها الكامل، وأقرّوا أنّهم لم يشهدوا، قطّ، شفاء وَرَمٍ ليفيٍّ عصبيٍّ فوريًّا ومفاجئًا مثل شفائها.

★) مطرٌ لا يبلّل

مهندسٌ من روما، جاء الدير مساءً للاعتراف، وتلكّأ في العودة. ولمّا همّ بالخروج، كانت شآبيب المطر، تنهمر مدرارًا، فسأل الأب أن يعيرَه مظلّةً، فهو عادةً يتنقّل في سيّارته، ولا يحتاج إلى مظلّةٍ. وأجابه الأب پيّو: "أنا، أيضًا، لا أملك مظلّةً". فسأله المهندس: "ألا يمكنك إبقائي هنا حتّى الغد، فأتّقي من البلَل الذي قد يؤذي صحّتي؟". فأجابه:

- كلّا، يا بنيّ. هذا مستحيلٌ، ولكن لا تخفْ، فسأرافقك.

وخُيِّل إلى المهندس أنّه قادرٌ على تدبّر الأمر بنفسه، فأحاط عنقه بياقة معطفه، وثبّت قبّعته في رأسه، وخاطر باجتياز مسافة الكيلومترَيْن الفاصلة بين الدير، والغرفة التي استأجرها في القرية.

وكم كانت دهشته بالغةً عندما أحسّ، منذ خروجه أنّ المطر الغزير تحوّل إلى رذاذٍ خفيفٍ. ولمّا انتهى إلى المسكن المستأجر، وأحسّت صاحبة البيت بوصوله، عبّرت عن قلقها، وهتفت:

- "لا ريب أنّك تبلّلت حتّى العظام!
- "لا على الإطلاق، فالمطر متوقّفٌ!
- كيف؟ ألا ترى الطوفان؟ ألا تسمع؟

فحدّق وأصغى، وشاهد، في الواقع، شلّالات المطر المتساقطة بلا توقّفٍ. وأكّدت صاحبة البيت:

- هذا الطوفان متواصلٌ منذ ساعاتٍ، فكيف نجوت من البلَل؟
- أكّد لي پادري پيّو أنّه سيواكبني.
- إذا قال لك ذلك پادري پيّو، فالأمر مختلفٌ.

وأضافت، على مائدة العشاء:

- من المؤكّد، أنّ مواكبة پادري پيّو هي خيرٌ من كلّ المظلّات.

★) شفاءٌ قبل الطلب

قرويّةٌ اعتلّ زوجها، فهرعت إلى الدير ساعيةً إلى مقابلة پادري پيّو، في أقرب مهلةٍ ممكنةٍ. وكان الوصول إليه في كرسيّ الاعتراف، يستلزم الانتظار يومَيْن أو ثلاثة أيّامٍ. وفي أثناء القدّاس، كانت ضاجّةً، ملتمسةً، جاهدةً من كلّ صوبٍ وبشتّى الوسائل، أن يحطّ الأب نظرةً عليها، سائلةً نعمة شفاء زوجها، بإلحاحٍ، من سيّدة النِعَم. ومع ذلك تسلّلت خلال صفوف منتظري دورهم للاعتراف، لعلّها تلمح الكاهن حامل سمات الصلب.

ولمّا وقع بصره عليها، حدّق إليها مؤنّبًا، قائلًا:

- يا قليلة الإيمان، أما كفاك إزعاجًا لي؟ هل ظننتي أصـــمّ؟ لقد بلّغتِني الْتماسَـــك، خمسَ مرّاتٍ، عن اليمين وعن اليسار، ومن الأمام ومن الخلف. لقد فهمتُ، فهمتُ...

ثمّ قال لها مبتسمًا: "أسرعي بالعودة إلى بيتك. فكلّ شيءٍ على ما يُرام".

وكان زوجها قد شُفي، حقًّا.

★) پادري پيّو والبابا يوحنّا بولس الثاني

عام ١٩٤٨، كان كارول ڤويْتِيوا كاهنًا پولونيًّا شابًّا، موفدًا إلى روما للدراسة اللاهوتيّة، واغتنم تلك السانحة كي يزور پادري پيّو في ديره. ومنذئذٍ، زفّ له الأب پيّو نبوءة تصعيده في المراتب الكنسيّة، حتّى انتخابه حبرًا أعظم.

ومنذئذٍ، رأى الراهب الكبّوشيّ في ذلك الكاهن الشابّ حبرًا استثنائيًّا، ورأى كيف سيرسل، هو، له روحيًّا، ابنته الروحيّة الراهبة ريتّا إلى روما كي تمسك مع السيّدة العذراء يد المجرم "علي أكجا" لتُحيّدا، معًا، مسار الرصاصة القاتلة، إنقاذًا لحياته.

وكان التفاعل بينهما، منذ اللقاء الأوّل، مُذهلًا. فقد استفسر الكاهنُ البولونيّ پادري پيّو، عن الجرح الذي يسبّب له القدر الأكبر من الوجع، متوقّعًا أن يكون جوابه جرح القلب، ولكنّ الأب پيّو فاجأه بقوله إنّ جرحه الأكثر إيجاعًا هو جرح كتفه، ولم يكن قد باح لأحدٍ بهذا السرّ، حتّى لأطبّائه المقرّبين منه.

ومنذئذٍ، رأى پادري پيّو في ذلك الكاهن البولونيّ الشابّ الحبر

الأعظم، الذي سيستخدمه الربّ من أجل خير الكنيسة والبشريّة جمعاء. إثر ذلك اللقاء، أخبر الأب أصدقاءه، أنّ بادري بيّو قد حدّق فيه بعمقٍ، وقال: "ستصبح بابا، ولكنّي أرى عليك آثار دمٍ".

وعلّق على ذلك، بقوله: "بما أنّي واثقٌ أنّني لن أصبح بابا، لم أقلق بشأن الدم".

وفي شهر تشرين الثاني من عام ١٩٦٢، كان كارول ڤويْتِيوا قد أصبح أُسقفًا معاونًا لأسقف كْراكُوڤيا، وكان في روما مشاركًا جلسات المجمع الڤاتيكانيّ الثاني، وأعلمه صديقٌ پولونيٌّ له أنّ زوجته "واندا"، وهي طبيبةٌ وأُمٌّ لأربعة أطفالٍ في مستشفًى، مصابةٌ بوَرَمٍ سرطانيٍّ خطيرٍ، وأنّها ستخضع لعمليّةٍ جراحيّةٍ قد تكلّفها حياتها، وتيتّم أطفالها الأربعة. ومع أنّ بادري بيّو كان، آنذاك، في خضمّ اضطهادٍ كنسيٍّ صارمٍ، غير أنّ الأُسقف البولونيّ كان راسخ الثقة بقداسته، وكلّف رسولًا بحمل رسالةٍ باليد إلى الأب بيّو، طالبًا شفاعته بتلك السيّدة وبأسرتها. كان الرسول موظّفًا في الڤاتيكان، وفي الآن عينه، من أبناء بادري بيّو الروحيّين، ومن مساعديه المقرّبين، ويدعى "أنجيلو باتّيستا". وصل الرسول إلى سان جوڤانّي رُتوندو، حاملًا الرسالة التي كان يجهل كلّ

شيءٍ عن محتواها. وطلب منه پادري پيّو أن يقرأها له. واستمع إليها بصمتٍ، واهتمامٍ، ثمّ قال: "لا يمكن رفض طلب لكاتب هذه الرسالة". وهمس في أذن الرسول رسالةً شفويّةً، إلى أُسقفٍ يدعى "ديسكور" (Deskur)، كان يعالجَ في أحد مشافي روما، مطمئنًا إيّاه بشفاءٍ عاجلٍ، وبأنّه سيعمل في خدمة الكرسيّ الرسوليّ. وفي الواقع، عيّنه البابا يوحنّا بولس الثاني كردينالًا، واتّخذه معاونًا مقرّبًا منه.

وصباح يوم ١٩٦٢/١١/٢١، قبل إجراء العمليّة الجراحيّة للسيّدة "واندا"، أُعيد تصويرها شعاعيًّا، تصويرًا أدهش الجرّاحين الذين تبيّنوا اختفاء الورم اختفاءً تامًّا، لا يمكن تفسيره، وأُلغيت العمليّة الجراحيّة.

وسارع الأُسقف كارول إلى إرسال كتاب شكرٍ إلى الأب پيّو، الذي طلب من أنجيلو باتّيستا، الذي جاءه بالرسالة أن يحتفظ بها وبالرسالة الأولى، التي كان الأسقف كارول قد طلب بها الصلاة من أجل السيّدة "واندا".

ولمّا عاد الأُسقف كارول إلى كراكوڤيا، أخبر السيّدة "واندا" أنّها مدينةٌ بشفائها لشفاعة پادري پيّو، الذي لم تكن قد سمعت باسمه، ولا

تعرف عنه شيئًا، ولكنّها لم تقتنع بقول الأسقف، بل كانت راسخة الإيمان بأنّ ما حدث كان نتيجة خطأ تشخيصٍ طبّيٍّ.

وعام ١٩٦٧، زارت السيّدة "واندا" روما، وأقنعها الكردينال ڤويتيووا بلقاء پادري پيّو، وجاءت إلى سان جوڤانّي رُتوندو، وخصّها حتّى أعماقها قدّاس ذلك الراهب الكبّوشيّ، وتيسّر لها رؤية جراح يديه، وبصفتها طبيبةً، قدّرت مدى الأوجاع التي كان يتحمّلها. ولكنّ دهشتها الكبرى، حدثت بعد القدّاس، عندما مرّ الأب بين صفوف الحجّاج، وتوقّف عندها، ورمقها بنظرةٍ أبويّةٍ، وداعب رأسها، وسألها: "هل أُمورك جيّدةٌ الآن؟".

هذه الوقفة، وهذا القول أدهشا الحاضرين. أمّا الطبيبة "واندا" فقد اعترفت: "عندئذٍ، فقط، أدركتُ أنّه كان لتدخلّ ذلك الراهب أثرٌ في شفائي، وآمنتُ بجدوى شفاعته".

★) رحلاتٌ سرّيّةٌ

لاحظ المقرّبون من پادري پيّو، أحداث غيابه المفاجئ عن الواقع، الذي كان يحدث في كلّ وقتٍ، وكلّ مكانٍ.

فقد ذكرت ابنةٌ روحيّةٌ له، أنّها كانت في كرسيّ تعريفه، وبغتةً، طلب منها أن تصمت، وتُوقِف اعترافها، وبدا بعيدًا، في عالَمٍ آخر. وتبدّلت قسمات وجهه. ولبثت، هي، راكعةً صامتةً. وبعد فترةٍ طويلةٍ أطلق الأب زفرةً، وتمتم عباراتٍ مبهمةً، وتابع تعريفه لها.

وقد تعدّدت أحداثٌ مماثلةٌ أمام شهودٍ كُثُرٍ. ولكن لم يكن أحدٌ يجسر على استفساره عنها، لأنّه كان يردّ بجفاءٍ، وحرصٍ على كتمان أسرار غيابه.

ومع ذلك، أدلى شهودٌ لا يرقى الشكّ إلى مصداقيّة شهادتهم بشهاداتٍ عن أحداثٍ غريبةٍ. فقد شهد القدّيس "دون أوريون"، أنّه شاهد بعينَيْه، پادري پيّو في كاتدرائيّة القدّيس بطرس في روما، يحضر حفلة تطويب القدّيسة تيريزا الطفل يسوع، التي كانت من أحبّ القدّيسين على نفسه. ثمّ تأكّد "دون أوريون"، أنّه، في ذلك الوقت عينه، كان پادري پيّو، في صومعته، داخل ديره.

★) إسرافٌ في التوبة

السيّدة "لويزا ڤيرو" (Luisa Vairo)، ثريّةٌ، بارعة الجمال، قَدِمت إلى سان جوڤانّي رُتوندو، بدافع الفضول، وتحدّيًا لكلّ ما يُقال عن پادري پيّو.

ومنذ لحظة وصولها، اجتاح ضميرها ألمٌ هاصرٌ، إذ تجلّى لها هول خطاياها المريع. وانفجرت بالنحيب داخل الكنيسة، بلا خجلٍ. وأقلقت تنهّداتها الصاخبة بنات پادري پيّو الروحيّات، فأتينَ إلى كرسيّ تعريفه، وأطلعنَه على ما يجري. فدنا من السيّدة المنتحبة، وقال لها: "اهدئي، يا ابنتي، فرحمة الله لامحدودةٌ، ودمه يغسل كلّ جرائم العالم". وهتفت السيّدة، التي كانت، لسُويْعاتٍ خلت، تسخر من المعترفين والمعرّفين: "أريد أن أعترف". فأجابها الأب: "اهدئي الآن، وتعالي غدًا، فأسمع اعترافك".

وقضت السيّدة "ڤيرو"، التي لم تعترف منذ طفولتها، ليلتها تتذكّر خطاياها، وتعدّ لائحةً بها. ولكنّها لمّا ركعت أمام الكاهن، توارى عن ذاكرتها كلّ ما تذكّرته، وسُدّت حنجرتها، وعجزت عن الكلام. ورئف الأب بحالها وأخذ يسرد، بهدوءٍ سلسلة مخازي حياتها. وأخيرًا، سألها:

- هل ما زال لديك شيءٌ تريدين ذكره، إضافة لما ذكرت؟

فاعترتها تجربةٌ عنيفةٌ، وتساءلت: ألا يكفي طوفان الوحل والقذارات الذي تدفّق، وهل يجب، أيضًا الإقرار بهذه الخطيئة؟ وكان الأب ينتظر إقرارها وشفتاه تتململان. وأخيرًا، قالت: "بقيتْ هذه الخطيئة، يا أبتاه". فهتف الأب:

- "تبارك الله. هذا ما كنت أنتظره. ووهبها بركة الغفران.

نعمتْ، إذن، السيدة "ڤيرو" بارتدادٍ صاعقٍ، وانخرطت في توبة المرتدّين المفرطة. وفي صباح يومٍ شتويٍّ عاصفٍ، قارس البرد، قرّرت الذهاب إلى الكنيسة، حافية القدمين. ووصلت إلى الكنيسة مبلّلةً حتّى العظام، مقرورةً، مرتجفةً، دامية القدمين، وارتمت أرضًا، مغميًّا عليها.

ولمّا استعادت رشدها، رأت وجه الأب منحنيًا عليها، قائلًا:

- "يا ابنتي، حتّى في التوبة، ينبغي التزام الاعتدال".

ثمّ لمس كتفها، وقال:

- "الحمد لله، هذا الماء لا يبلّل!"

وذُهل الحاضرون، لرؤيتهم ثياب السيّدة، وقد جفّت، في لحظةٍ، جفافًا تامًّا.

★) كيف تولد الشّائعات

عندما زار الدكتور "رومانيلّي" الأب پيّو، للمرّة الأولى، عام ١٩١٩، اشتمّ رائحة عطرٍ مرهفٍ ينبعث منه، ويعطّر كلّ صومعته. وظنّ أنّ پادري پيّو يتعطّر. ولكنّ نوع العطر الذي فاح منه باهظ الثمن، ويتعذّر على راهبٍ شراؤه، فاستنتج أنّ معجبةً ثريّةً أهدته قارورة عطرٍ فاخرٍ. ووُلِدت التهمة في ذهنه. وسارع إلى إطلاع راهبٍ آخر على ما يجول في خاطره، فسخِر منه، وأكّد استحالة لجوء پادري پيّو إلى التعطّر، وهو الذي يحيا بإماتة ذاته، وأوضح له أنّ العطر الذي تنسّمه هو العطر المتضوّع من دم جراحه المقدّسة.

وتثبُّتًا من هذا الإيضاح، عاد الدكتور رومانيلّي، إلى صومعة پادري پيّو، وامتحن قدرات شمّه، وبحث في كلّ مكانٍ، ولم تطرق أنفه أيّةُ رائحةٍ، ولم يعثر لعطرٍ في أيّ مكانٍ.

أمّا الدكتور فيستا، الذي كان، بالفطرة والولادة، محرومًا من حاسّة الشمّ، فروى أنّه إثر تحقيقه الأوّل في جراح پادري پيّو، استصحب معه قميصًا مضمّخًا بدم الأب النازف، بغية تحليله في المختبر. وفيما

القطار كان منطلقًا بسرعة مئة كيلومترٍ، وكانت النوافذ مفتوحةً، اشتمّ مرافقوه في المقطورة رائحة عطرٍ نفّاذةً، واختلفوا حول تحديد نوعها. واحتدم النقاش بينهم، فيما لم يكن الدكتور فيستا يشتمّ شيئًا، ولكنّه استخلص أنّ العطر منبعثٌ من قميص الأب پيّو المضمّخ بدمه. وتأكّد له ذلك الاستنتاج عندما أودع ذلك القميص في أحد أدراج عيادته، وصار كلّ مَن يزوره، يسأله عن مصدر العطر المنبعث منها.

وما انفكّ مئات الناس، على امتداد خمسين سنةً، يشتمّون هذا العطر الذي طالما نقل رسائل الأب پيّو إلى مسافاتٍ بعيدةٍ، زافًّا، تارةً، بُشرى سارّةً، ومحذّرًا، تارةً أخرى، من خطرٍ داهمٍ.

وجديرٌ بالذكر، أنّ عطرًا مماثلًا كان يتضوّع من دم المكرّمة "بينوات رانكوريل" (١٦٦٤–١٧١٨)، التي ظهرت لها العذراء في مدينة "لوس" (Laus) الفرنسيّة.

★) في اللحظة الأخيرة

أثناء فترة التحرير التي عقبت الحرب العالميّة الثانية، تعدّدت، في إيطاليا أعمالُ انتقامٍ اعتباطيّةٌ، انطوت على تجاوزاتٍ جمّةٍ.

واتُّهمت إحدى بنات الأب الروحيّات بالتعاون مع الفاشيّين افتئاتًا، وقضت عليها محكمةٌ ميدانيّةٌ مرتجلةٌ بالإعدام. ولم يكن بوسع الفتاة إثبات براءتها بنفسها. وفيما كانت الأصفاد تُعَدُّ لتكبيل يديها، من أجل اقتيادها إلى مركز الإعدام، استلّت مسبحتها، وصورة الأب پيّو، وابتهلت منتحبةً: "يا پادري پيّو سارع إلى إنقاذي!"

وفي الطريق إلى مركز الإعدام أمعن الجمع الهائج في رشقها بالحجارة، وبالشتائم المقذعة، حتّى وصل الموكب إلى موقع الإعدام، ولكنّه توقّف بسبب عبور قافلة مدرّعاتٍ وسيّارات إسعافٍ، وقوافل جنودٍ متّجهين جنوبًا. وأمر رئيس فريق الإعدام بإرجاء التنفيذ، واعتلى مركبةً، وبدا كأنّه منوّمٌ مغناطيسيًّا.

وكان يجول في بال الفتاة أنّ ساعة نهايتها ستدقّ، حالما تفرغ القافلة من مرورها، فهتفت بحرقةٍ: "لِمَ لمْ تحضر يا پادري پيّو؟" وتمادى الانتظار، وشرع جمع المقاومين ينفرط، سأَمًا، وربّما راود بعضًا منهم

ارتيابٌ في صواب الحكم على الفتاة، وخشية أن يأتي أحدٌ بدليل براءتها، فيتعرّض الواشون للانتقام. وتفرّق الجمع، شيئًا فشيئًا، ولم يبقَ سوى قائد التنفيذ، جامدًا فوق مركبته، مثل علامة تعجّبٍ.

وكانت مهلة التوقّف كافيةً كي يجمع أصدقاء الفتاة براهين براءتها، وما كادت القافلة تنتهي من عبورها، حتّى أيقظ صوت سيّارةٍ مسرعةٍ قادمةٍ رجاء الفتاة، وانحدر من السيّارة رجلٌ غريبٌ، وأعلن للفتاة أنّها قادرةٌ على اعتبار نفسها حرّةً، وأعادها في سيّارته إلى منزلها.

وفي تلك الأثناء، كان سارقون قد اغتنموا تعرّض الفتاة للإعدام كي ينهبوا منزلها، بحجّة البحث عن متفجّراتٍ، تحت أنظار شقيقتها المرتعدة خوفًا وحزنًا. وإذا بصوتٍ جهيرٍ، كأنّه قادمٌ من مكبّر صوتٍ، يأمر: "كفى!"، وأتبعه بإنذارٍ آخر أشدّ دويًّا، وحزمًا، وغضبًا، وكان كافيًا لدفع السارقين على الفرار.

ولمّا وصلت الفتاة إلى البيت، وسمعت من شقيقتها رواية السارقين، أكّدت: "كان الصوت، صوت پادري پيّو".

ولمّا تمكّنت من الخروج بلا جزعٍ، بعد أشهرٍ، سارعت إلى زيارة پادري پيّو الذي بادرها بقوله: "كم جعلني إيمانك أركض!".

★) منع طيّارين حربيّين من إلقاء قنابل على سان جوڤانّي رُتوندو

حسمًا للحرب العالميّة الثانية، وبغية إكراه موسّوليني المتحالف مع هتلر على وقف القتال، قذف طيّارو الحلفاء الحربيّون الجنوب الإيطاليّ بالقنابل. ودمّرت قذائفهم، جزئيًّا، دير فوجيّا الكبّوشيّ، فاضطرّ ساكنوه، ومنهم الرئيس الإقليميّ على تلك المنطقة إلى اللجوء لدير سان جوڤانّي رُتوندو.

ولمّا همّ الطيّارون بقذف منطقة سان جوڤانّي رُتوندو، شاهدوا في الجوّ راهبًا في زيّ كبّوشيّ يُشير إليهم، بيدٍ مجروحةٍ، ألّا يفعلوا. وأن ينأَوا عن المكان. وعندئذٍ، تعذّر عليهم، رغم محاولاتهم الجادّة المتكرّرة، إطلاق القذائف التي أبت الخضوع لأوامرهم.

ولمّا انتهت الحرب، حلّ الطيّارون في قاعدةٍ لهم، بمنطقة فوجيّا. وشاهدوا على غلافات المجلّات وصفحاتها صُورًا للراهب الذي ظهر لهم في الجوّ، ومنعهم من إلقاء قنابلهم.

وهُرِع حشدٌ منهم ضمّ أفرادًا من جنسيّاتٍ ومذاهب مختلفةٍ، للتعرُّف على الراهب الذي منعهم من اقتراف المزيد من جرائم القتل والتدمير، مستخدمين كلّ ما تيسّر لهم من وسائل نقلٍ. وجاء بعضهم سيرًا على الأقدام.

ومنذئذٍ، أمسى ذلك الدير محجًّا، يعودون إليه كلّما تسنّت لهم فرصةٌ.

★) غنائم پادري پيّو الكبرى

١- فريديريك أبريش (Fréderik Abresh)

يروي فريديريك أبريش:

"إنّي مدينٌ لپادري پيّو بكلّ سعادة حياتي، وبإيماني الكاثوليكيّ. ولولاه لما نَعمتُ بالأُبوّة.

"عندما زرتُه، للمرّة الأولى، في شهر تشرين الثاني ١٩٢٨، لم أكن مؤمنًا. فقد وُلِدتُ في أُسرةٍ پروتستانتيّةٍ، تمقت كلَّ ما يتعلّق بالكرسيّ الرومانيّ، مقتًا شديدًا. ومع ذلك، لمّا أقدمت على الزواج تظاهرت بكوني كاثوليكيًّا بدافع مجاملاتٍ اجتماعيّةٍ، ولم تكن العقيدة الكاثوليكيّة تعني لي شيئًا. كنتُ كَلِفًا بالتنجيم والسحر، وما شابههما. وكنتُ، أحيانًا، إرضاءً لزوجتي الكاثوليكيّة، أقترب من الأسرار المقدّسة، بلا قناعةٍ.

وذات يومٍ، سمعتُ أنباءً عن راهبٍ كبّوشيٍّ مدموغٍ بسمات الصلب، ويُقال إنّه يُجري معجزاتٍ. فدفعني الفضول، وقلقي على زوجتي المصابة بمرضٍ عضالٍ، وكان عليها الخضوع

لعمليّةٍ جراحيّةٍ قد تحرمها، إلى الأبد، أفراح الأمومة. وعزمتُ على قرع باب الحظّ، ويمّمتُ شطر سان جوڤانّي رُتوندو، على حذرٍ، فقد كان ذهني حافلًا خوفًا من الخرافات الشائعة في الكنيسة الكاثوليكيّة.

اتّصالي الأوّل بپادري پيّو كان باردًا. فقد وجّه لي عباراتٍ وجدتُها جافّةً، لا سيّما أنّني كنتُ أتوقّع منه ترحيبًا حارًّا، بعد رحلتي الطويلة والشاقّة. ومع ذلك، ارتضيتُ الركوع في كرسيّ الاعتراف. ومنذ لحظة ركوعي الأولى، صارحني بأنّي، في اعترافاتي السابقة أخفيت خطايا خطيرةً. ثمّ استفسر عن صدقِ نيّتي في الاعتراف، فأجبته أنّي أعتبر الاعتراف مؤسّسةً اجتماعيّةً، ولكنّي لا أؤمن بأيّ طابعٍ روحيٍّ فائق الطبيعة له وللأسرار. ثمّ دفعني شيءٌ إلى القول: "ولكنّي، الآن، غدوْت أومن بهذا الطابع". وصَمَت الأب، برهةً، ثمّ قال لي، بلهجةٍ يصعب وصف حزنها: "كانت، إذن، كلّ مناولاتك السابقة انتهاكاتٍ للمقدّسات، فعليك الاعتراف اعترافًا عامًّا... افحص ضميرك، بدقّةٍ، وتذكّر وقت اعترافك الأخير. وتذكّر أنّ يسوع أكثر رحمةً بك، من رحمته بيهوذا". ونظرني نظرةً

صارمةً، وقال: "المجد ليسوع ولمريم". ومضى إلى الكنيسة كي يستمع إلى اعترافات النساء.

وتلبّثتُ في السكرستيّا مضطربًا، وما انفكّ قول الأب: "تذكّر يوم اعترافك الأخير" يدوّي في أذني. فالحقيقة أنّني يوم اعتنقتُ الكاثوليكيّة قد أُعيد تعميدي "بشرطٍ". إذ كان العماد قد محا كلّ خطاياي السابقة. ومع ذلك، اعترفتُ، حينذاك، اعترافًا جيّدًا، إراحةً لضميري، وأقررت بكلّ الخطايا التي اقترفتُها منذ الطفولة.

ولمّا عاد الأب پيّو إلى السكرستيّا، كان ذهني مشوّشًا، وسألني: "إذن، هل كان اعترافك الأخير جيّدًا؟" وشرعتُ أتلعثم، فقاطعني قائلًا: "حسنٌ، اعترفتَ اعترافًا جيّدًا، إثر عودتك من شهر العسل. فلندع ما مضى، ولنبدأ من الآن".

كنتُ مذهولًا. ولكن لم يُتَحْ لي فسحة تفكيرٍ. وطرح عليّ، بصوتٍ واضحٍ، أسئلةً محدّدةً، ساردًا الخطايا التي تراكمت على مدى السنوات. وعدّد لي بدقّةٍ، القداديس التي لم أحضرها. وبعد أن ذكّرني بخطاياي المميتة، وأفهمني مدى

خطورتها القصوى، وأردف بلهجةٍ يتعذّر نسيانها: "كنتَ تُنشد مدائح إبليس، في حين كان يسوع، في رقّة حبّه اللامحدودة، يكسر عنقه من أجلك". وبعد أن منحني بركة الغفران، شعرتُ أنّ السعادة والرشاقة غمرتاني، وزوّدتاني بأجنحةٍ".

وما لبث أن جاء أبريش إلى پادري پيّو بزوجته، التي كانت تعاني نزيفًا دائمًا. وكان يُشرف على علاجها ثلاثةٌ من أشهر المختصّين بأمراض النساء، وأجمعوا على ضرورة إخضاعها لعمليّةٍ جراحيّةٍ، تضع حدًّا لنزفها، ولكنّها تحرمها القدرة على الإنجاب.

واستهلّت الزوجة اعترافها بقولها لپادري پيّو: "يأمرني الأطبّاء بالخضوع لعمليّةٍ جراحيّةٍ".

- إذن، يا ابنتي، افعلي ما يطلبه منك الأطبّاء.

- ولكن، حينئذٍ، يا أبتِ، لن أنعم أبدًا بالأُمومة، ولن يكون لي أولادٌ.

فرفع الأب عينيه إلى السماء، وبعد برهة صمتٍ، قال بعذوبةٍ فائقةٍ:

- إذن، لا لعمليّةٍ تدمّر حياتك.

وعادت السيّدة أرديش إلى المنزل تفيض فرحًا. وفي الحال، توقّف نزفها، وزالت كلّ أعراض العلل التي كانت تلازمها. وبعد سنتين، عاد السيّد أرديش إلى پادري پيّو، وبعث، من سان جوڤانيّ رُتوندو، ببرقيّةٍ إلى زوجته تقول: "أنا سعيدٌ أكثر من أيّ وقتٍ. أعدّي جهاز الطفل".

وبالفعل رُزقا طفلًا رائعًا، وتمّت ولادته بسلامٍ، وبلا مشاكل صحّيّةٍ، رغم إنذارات الأطبّاء الكارثيّة.

وأصبح ذلك الولد، التي منّت به العناية الإلهيّة كاهنًا، وخادمًا لله، كما تنبّأ پادري پيّو.

ولمّا توفّيت السيّدة أرديش استقرّ فريديريك في سان جوڤانيّ رُتوندو، حيث افتتح مكتبةً تبيع كتبًا عن پادري پيّو، وما استطاع جمعه من صورٍ له.

٢- ارتداد مثقّفٍ ماسونيٍّ: "ألبيرتو دل فونتي"

كان ذلك الماسونيّ من ألدّ أعداء پادري پيّو، وقد أمعن في هجائه، من خلال مقالاتٍ على صفحات جريدة "إيطاليا العلمانيّة"، ثمّ بفضل الأب پيّو نفسه تحوّل إلى أحد أعمدة المؤرّخين لأفعال الأب الخارقة، ومن أهمّ الكتب الموثّقة التي نشرها في هذا الشأن "الإيمان"، "للتاريخ: مَن هو پادري پيّو؟"، و"الكاهن الأوّل المدموغ بسِمات الصلب".

قبل أن يعرفه عن كثبٍ، كان يصفه بـ "المخادع"، "الدجّال"، "المنافق"، "مستغلّ جهل شعبٍ ساذجٍ وسريع التصديق".

ثمّ قلبه شفاءٌ عجيبٌ لابن أخيه المصاب بداءٍ، أعلن الأطبّاء عجزهم عن شفائه. وفي غمرة يأسه، استجاب لاقتراح صديقٍ له، ولجأ إلى "الدجّال، المنافق". وفي غضون أربعٍ وعشرين ساعةً، كان الفتى معافًى، مُدهشًا عباقرة الطبّ.

قرّر، إذن، الصحافيّ الهجّاء، تبيّن الحقيقة، واستبيان هل الراهب "پيّو" دجّالٌ أو قدّيسٌ. تخيّله، في البدء، بسيطًا وساذجًا، ورغب في تحدّيه وامتحانه. وهكذا روى امتحانه له:

"اعترفتُ له، بلا إيمانٍ ولا حماسٍ، كما لو كنت أعترف بين يديّ كاهنٍ عاديٍّ بسيطٍ. ولكنّه سرعان ما أدهشني وأكّد لي اطّلاعه الدقيق على كلّ خطاياي الماضية. ومنذ الوهلة الأولى، قال لي إنّي عضوٌ في منظّمةٍ لا تؤمن بالله، ولا تحبّ خدّامه. فظننتُ أنّه استنتج كوني ماسونيًّا، من طريقة حديثي. فحدّثته، مطوّلًا عن الفلسفة التي تستعيض عن الإيمان بالضمير، واستعرضنا، معًا، القدّيس أوغسطينُس، وسبينوزا، وديكارت، وسْتيُوَارت ملّ، وسبنسر، ودروين، وفلاسفةً حديثين آخرين. وأخيرًا، قلتُ له: "أنا جهدتُ، دائمًا، في استهداف الخير في كلّ أفعالي، وإذا تغلّبَت فيّ، أحيانًا، البهيمة على الإنسان، كان يسارع ضميري إلى إنذاري قائلًا: افعل هذا ولا تفعل ذلك. لم أومن قطّ. ولكن لم يمنعني ذلك من أن أكون، دائمًا، مستقيمًا. وحينئذٍ، قاطعني الأب بقوله: "تقول مستقيمًا؟" تذكّر، إذن، المناسبات التالية.... وكشف لي عن أُمورٍ لم يكن باستطاعته معرفتها.

احتاج "دل فونتي" إلى جهدٍ ووقتٍ طويلٍ، كي يستفيق من قسوة الصدمة، وكي ينظّف ذاته من أقذار ماضيه. وصارع

وبكى غيظًا. وأخيرًا، استسلم نهائيًّا، وبلا عودةٍ. وقبل مغادرته الكاهن التمس منه أن يصلّي من أجل زوجته الحامل. فأجابه:

- "بالتأكيد سأصلّي. فالله يحبّ الذين ينجبون".

وما لبث أن استدرك سائلًا:

- "هل لدى زوجتكَ حليبٌ كافٍ لإرضاع الوليدة؟"

فذُهِل الصحافيّ، وقال: "هذا، بالضبط ما كنت أبتغي طلب مساعدتك بشأنه". فأكّد له الكاهن:

- "سيكون لديها ما يكفي. من حقّ الأُمّ أن ترضع هي طفلها. وأنتما كنتما قد أوكلتما طفلَيْكما السابقين إلى مرضعةٍ".

قال هذا، وتوجّه متثاقلًا، مترنّحًا صوب باب الموهف (السكرستيّا)، فيما ظلّ الصحافيّ مشدوهًا، متسائلًا من أين لذلك الراهب أن يعلم كل تلك الأسرار وتفاصيلها؟

أثبت، إذن، پادري پيّو قدرته على محاورة المثقّفين والفلاسفة، بلا وجلٍ. ولطالما واجه، في كرسيّ تعريفه، اعتراضاتٍ عويصةً بحذقٍ وبراعةٍ

وحكمةٍ، وطالما دمّر سدودًا، وحلّ نزاعاتٍ. فمواهبه الخارقة كانت تحترم العقل. وهو، إلى جانب إرشاده موغلين وموغلاتٍ في الورع والعبادة، طالما هدى جامعيّين وفنّانين وكتّابًا وفلاسفةً ومفكّرين، باحثين عن الإيمان. ومن هؤلاء نذكر المنادي بالمادّيّة "فيرّوشيو كابونيتّي (Ferucio Caponetti)، الذي كتب:

"على تلّة "غرغانو" عثرتُ على معلّمٍ. استقبلني بفرحٍ، وأصغى بانتباهٍ إلى مصاعبي وشكوكي، ثمّ بعباراتٍ فائقة البساطة، ولكن بعمقِ فكرٍ، لا يُسبَر غوره، أزاح، واحدًا واحدًا، كلّ الاعتراضات التي كانت تتململ في رأسي، وعرّى نفسي، وأظهر لي تعليم الربّ، فاتحًا عيون ذهني. مسّ قلبي، فأبصرتُ النور وآمنت.

"إنّه يضع حدًّا لمأساة الإلحاد، ولا يستخدم تأثير الخوارق، بل بالصبر والإقناع والكياسة، يدمّر، برفقٍ العوائق التي كانت تقلق الذهن. ولولا ذلك لما أثّر على المفكّرين. إنّه أبو النفوس فائق الرقّة، والغوث والإنسانيّة".

وقال الأب يومًا لأستاذٍ جامعيٍّ: "أنتم تبحثون عن الله في الكتب، ونحن نجده في الصلاة".

٣- الدكتور فرنشيسكو ريكَاردي (Francesco Ricardi)

كان الطبيب فرنشيسكو ريكَادري، المقيم في سان جوڤانيّ رُتوندو، ملحدًا، ويضمر كرهًا عنيفًا للمسيحيّة والرهبان. وقد شنّ حملةً شعواء على الدّين، وخصّ پادري پيّو بأعنف هجومٍ، ووصف الدير الذي يقيم فيه، بموئل الظلاميّة، ومصنع الدجّالين. واعتاد جمعَ وجهاء البلدات وشبّانها، ومشاركتَهم بُغضه للرّاهب المدموغ بسمات الصلب وإخوانه الرهبان، ومقاومة التعليم المسيحيّ، باسم العلم، وكان يحرّض على تأليف جبهةٍ لمقاومة التّضليل والدجل.

وكان الأب پيّو يسمع، متألّمًا، صامتًا، إلى أن حانت ساعة الردّ المقدّس، فقد اعتلّ الطبيب، وشخّص زملاؤه إصابته بسرطانٍ منتشرٍ في معدته، وأجمعوا على استبعاد جراحةٍ وبيلة النتائج، وذاع نبأ احتضاره.

وكان سكّان البلدة يحبّونه. فهو، مع إلحاده، كان سخيّ القلب، واعتاد معالجة الفقراء منهم، مجّانًا. فاحتشدوا، وركعوا في الشوارع، مبتهلين كي يموت متصالحًا مع الله.

وتجرّأ كاهن القرية، فجاء إليه، ولكنّ الطبيب رماه بحذائه، جائرًا: "لا أريد رؤية كهنةٍ. لا أسمح إلّا لبادري پيّو أن يسمع اعترافي، ويغفر لي. ولكنّي أمعنتُ، أنا، في إهانته. ولذلك لن يحضر، فضلًا عن أنّه لا يغادر ديره. وسأموت مثلما عشتُ، عدوًّا لله".

وسارع أصدقاء الطبيب ومحبّوه إلى تبليغ الأب پيّو أقوال الطبيب، فهرع إلى الكنيسة، وأخذ زيت مسحة المحتضرين، والقربان، وانطلق، عارجًا على قدمَيْه المقرَّحتَيْن النازفتَيْن، تحت الثلج الكثيف المتهاطل، ضامًّا ربَّه إلى قلبه. وما إن وصل إلى منزل الطبيب، حتّى فتح ذراعيه واسعتَيْن، وابتسم بسمة البراءة التي كانت تميّزه. وذُهِل الطبيب، وأشرق وجهه، وهتف: "اغفر لي، يا پادري پيّو". واعترف، ونال الغفران، ومُسِح بالزيت المقدّس، وبات جاهزًا لمقابلة ربّه. ولكنّ الربّ شاء أن يكون انتقام القدّيسين مثاليًّا. فبعد مضيّ ثلاثة أيّامٍ، شفي الطبيب شفاءً تامًّا، وأثبت الفحص الطبّيّ زوال السرطان زوالًا كاملًا. واستعاد المحتضر حياةً جديدةً زاخرةً بالحيويّة. وألّف جبهةً جديدةً، هدفها مقاومة أعداء الأب پيّو بجرأةٍ، وقوّةٍ، وإيمانٍ.

★) زياراتٌ سرّيّةٌ للكردينال ميندْزنْتي في معتقله

يوم ١٩٤٨/١٢/٢٦، اعتقلت المخابرات الهنغاريّة الشيوعيّة، رئيس الأساقفة "جوزف مندْزنْتي" (Mindszenty)، وسامته طوال أشهرٍ عذاباتٍ مريعةً، كي تُكرهه على الإدلاء بتصريحاتٍ تدين الكنيسة. ثمّ عقبَ محاكمةٍ هزليّةٍ، حُكِم عليه بالإعدام.

ولكن، إثر استنكار صحافيّين شيوعيّين لهذا الحكم، حُوّل إلى سجنٍ مؤبّدٍ دام سنواتٍ، تجرّع، خلالها، الكردينال من الاضطهادات اللاإنسانيّة أدهاها وأقساها. إلى أن نشبت الثورة على الحكم الشيوعيّ، عام ١٩٥٦، واستعاد الكردينال حرّيّته.

وكان ردّ السلطات السوڤييتيّة على الثورة مريع الوحشيّة، وأسال أنهارًا من الدماء، فقد اجتاحت مدرّعاتها ودبّاباتها مدينة بوداپست، وداست تحت عجلاتها المساكن وسكّانها. فلجأ الكردينال إلى السفارة الأميركيّة. وكانت قضيّة اعتقاله قد هزّت ضمير العالم الغربيّ، وضمير الكنيسة. وقد أصبح الكردينال رمزًا لشهداء "كنيسة الصمت".

وكانت تربط الكردينال ميندزيتي وشائج صداقةٍ وروحيّةٍ وثيقةٍ بپادري پيّو. وبما أنّ أشدّ ما كان الكردينال يعانيه في معتقله هو حرمانه من إقامة القدّاس، فقد خفّ پادري پيّو إلى تحقيق رغبته، فجاءه، سرّيًّا، ذات يومٍ، بكلّ ما يلزم لإقامة القدّاس، ولمّا فرغ الكردينال من إقامة القدّاس، سارع پادري پيّو إلى استرجاع ما جاء به، وغاب، ولم يعرف أحدٌ كيف دخل إلى سجنٍ محكم الحراسة، وكيف خرج منه.

هذا الحدث أطلع الكردينال عليه كاهنًا مقرّبًا منه، وهذا الكاهن أطلع عليه السيّد "أنجيلو باتّستا"، الذي كان يعمل في أمانة سرّ الكرسيّ الرسوليّ، ثمّ ساعد پادري پيّو في إدارة "بيت تخفيف الألم". وذات يومٍ، سأل باتيستا پادري پيّو هل عرفك الكردينال يوم زرته في سجنه، فأجابه بلهجته الجافّة، ظاهريًّا، "لقد تلاقينا وتحدّثنا، تسأل هل تعارفنا؟ مع أنّ جلّادي الكردينال كانوا قد حوّلوه إلى شبيه شيطانٍ!".

وثمّة دلائل ووثائق وشهاداتٌ تشير إلى أنّ زيارة الأب للكردينال في معتقله، لم تكن عابرةً، وفريدةً، بل تكرّرت مرّاتٍ عديدةً.

★) ارتداداتٌ مدوّيةٌ

١- الشيوعيّ الفرنسيّ "ميشيل بْوَايّي" (Michel Boyer)

كان ميشيل بْوَايّي أحد أبطال المقاومة الفرنسيّة، وخرج من الحرب منهكًا نفسيًّا، بعد كلّ ما خبره، وما شاهده من آلامٍ ومآسٍ. واستحوذ عليه القنوط والاكتئاب، حتّى عجز عن الردّ على تساؤلات رفاقه، وراودته فكرة الانتحار للخلاص.

وذات يومٍ، حدّثه رفيقٌ له عن "پادري پيّو"، وصنائعه المدهشة وخوارقه، وعن العطر الذي كان ينبعث منه، إلى بعيدٍ، وينقذ به أشخاصًا من خطرٍ داهمٍ.

وفيما كان، ذات يومٍ، جالسًا عند حافّة بحيرةٍ، رازحًا تحت ضغوط أفكارٍ سوداء، خامرته فكرة الانزلاق إلى المياه، وإنهاء حياته. وإذا بعبير الورود الذي حدّثه عنه رفيقه يغمره، وكأنّه ردٌّ على التحدّي الداخليّ، الذي أطلقه السيّد بويّي في وجه "پادري پيّو". وللحال استقلّ قطارًا إلى إيطاليا، وفي اليوم التالي كان في سان جوڤانّي رُتوندو، التي لم يغادرها، من بعدُ، فقد انضمّ إلى فريق أطبّاء "بيت تخفيف الألم"، حيث وجد سلام النفس والسكينة.

٢- الشيوعيّ الإيطاليّ "جوڤانّي بارداتسي" (G. Bardazzi)

كان بارداتسي من أكثر الشيوعيّين صَخَبًا. وبعد الحرب العالميّة الثانية قصد سان جوڤانيّ رُتوندو، استجابةً لإلحاح زوجته. ولكنّه لم يكن راغبًا في الارتداد إلى الله، بل كان يُضمر نيّة إقناع "پادري پيّو" باعتناق الشيوعيّة. وقد أحدث في كرسيّ الاعتراف من الصخب، بحيث طُرِدَ من الكنيسة. وهرع إلى روما، كي يشكو أمره للحبر الأعظم. وأثار زوبعةً من الصخب أثناء قيام البابا بمقابلةٍ عامّةٍ. ثمّ عاد إلى سان جوڤانيّ رُتوندو، وأصبح من أشدّ محبّي پادري پيّو اندفاعًا وإخلاصًا، ومن أكثر أبنائه الروحيّين وفاءً. وقد روى، لاحقًا، قصّة اصطدامه برفاقه الشيوعيّين القدامى، بأسلوبٍ هزليٍّ بارعٍ.

وجاء في تصريحٍ له:

"لقد أثار ارتدادي ضـــجيجًا في "پراتو"، حيث كان الجميع يعرفون أنّي من أشدّ الشيوعيّين تصلّبًا. ودهشوا كيف انتقلتُ إلى الضـفّة الأخرى. واسـتُدعيت إلى مركز الحزب كي أُفسّـر سـبب تحوّلي. وكان الحزب قد أرسـل، لاسـتدعائي، رجلًا

مشـلولًا، يتحرّك على كرسـيٍّ بعجلاتٍ، ولم يسـتطع كرسـيّه اجتياز بوّابة البناء الذي أسـكن فيه. فاضـطرّ إلى مناداتي بأعلى صـوته، مُسـمعًا جميع الجيران. وبعد ندائه الثالث، ضـقت ذرعًا، فانحدرتُ وقلت له: "قل لمن أرسـلوك أن يكلّفوا شخصًا سليمًا باستدعائي، وإلّا... لو عدتَ ثانيةً، فسأرميك أنت وكرسيّك في حفرةٍ".

كنتُ حائرًا هل عليّ الاسـتجابة لطلب الحزب أو رفضـه. وكنت أعرف الرفاق، وأنّ بينهم مَن لا يتحرّج من الصـراع بالأيدي. وذات ليلةٍ، قرّرت الاستجابة. وفي هذه الأثناء، كنتُ قد علّقت فوق عتبة بيتي صـليبًا، أوكلت إليه ذاتي قبل انطلاقي، عملًا بوصـيّة پادري پيّو، الذي أوصـاني: "عندما تجد ذاتك في أزمةٍ، حدّق إلى الصليب وأوكل إليه ذاتك".

دخلتُ، إذن، إلى قاعة الاجتماع الغاصّة بالحضور، ودُعيتُ بكثيرٍ من الاحترام إلى طاولة الرئاسـة، ووسـط الصـمت المُحكم، ارتفع صوتٌ يقول: "يا لها من رائحةٍ كريهةٍ!" فأجبت تلقائيًّا: "صـحيحٌ، لقد شـممتُها منذ وصـولي". وقلت ما كنت

راغبًا في قوله، وقطعتُ علاقتي، نهائيًّا، مع تلك الإيديولوجيّة".

واعتاد برداتسي بين عامي ١٩٥٠ و١٩٦٨، أن يجلب بسيّارته عددًا من الحجّاج من منطقة توسكانا إلى سان جوڤانيّ رُتوندو، إذ لم تكن قد توفّرت وسائل النقل العامّ إلى تلك المنطقة. وذات يومٍ، إذ كان عائدًا إلى بيته في پراتو، عرّج على پادري پيّو، فسأله: "هل تمرّ بفلورنسا في عودتك إلى بيتك". وأجاب بالإيجاب، فقال له الأب: "إذن، أدِّ لي خدمةً، ومرّ بكاتدرائيّة فلورنسا، وبلّغ الأب "بوناردي" (Bonardi)، شكري، عن كلّ ما فعل من أجلي".

ولمّا دخل "بارداتسي" إلى الكاتدرائيّة، كان الأب "بوناردي" يستمع إلى اعتراف رجلٍ، وما إن نهض المعترف حتّى حلّ "بارداتسي" محلّه، وبلّغه الرسالة. فقبّله الأب وانخرط في البكاء. ولمّا سكن، أطلع الرسول على موضوع شكر پادري پيّو، وأخبره أنّه كان قلقًا بشأن أقارب له من فلورنسا، اعتادوا الحجّ إلى سان جوڤانيّ رُتوندو، ويعودون بروايات مدهشةٍ عن پادري پيّو. وكان صديقه الكردينال

"إيليا دلّا كوستا" (Elia della Costa)، يشكّ في صحّة هذه الروايات، وحتّى في سمات پادري پيّو. فكلّف الأب "بوناردي" بالتحقيق في ما يجري هناك. وحقّق الأب بوناردي رغبة الكردينال، وأمضى بضعة أيّامٍ في سان جوڤانيّ رُتوندو، وعند عودته أرسل إلى الكردينال تقريرًا، يقول:

"يا صاحب النيافة، من لم يصلِّ قطّ، يتعلّم هناك الصلاة، ومن لم يثنِ، قطّ، ركبتَيْه، يتعلّم الركوع. ويتعذّر إحصاء الاعترافات والتحوّلات. وعلينا، نحن الكهنة أن نتعلّم، هناك، إقامة القدّاس".

هذا التقرير أقنع الكاردينال أنّ في سان جوڤانيّ رُتوندو إصبع الله.

كان إذن، قدّاس الأب پيّو هو الذي يقلب قلوب جميع الذين حضروا وشهدوا كيف عاشوا، مدى ساعتين ونصف الساعة، مع الكاهن ذي اليدين المثقوبتَيْن النازفتَيْن، آلام المخلّص في الجتسماني والجلجلة.

وشهد، أيضًا، البابا يوحنّا بولس الثاني، أنّه عام ١٩٤٨، إذ كان

كاهنًا شابًّا، قد شارك بادري پيّو قدّاسه، وما زال يذكر ذلك القدّاس قائلًا:

"ما زال خبرةً لا يمكن نسيانها. كنّا نعي أنّ على هيكل سان جوڤانّي رُتوندو، كانت تتحقّق تضحية المسيح نفسه، تضحيةً غير داميةٍ، في حين كانت جراح يدي الأب النازفة تذكّرنا بتلك التضحية، وبالمصلوب.

"على الهيكل، كانت ضحيّتان تحترقان طوعًا".

٣- معلّمةٌ شيوعيّةٌ تتحوّل إلى الإيمان المسيحيّ

كانت الآنسة "إيتاليا بيتّي" (Italia Betti)، أستاذة رياضيّاتٍ، وفي الآن عينه، قائدة نضالٍ ضدّ النازيّة والفاشيّة، وقادت في مدينة بولونيا الإيطاليّة، مظاهراتٍ ضدّ الحلفاء في الحرب العالميّة الثانية، مرتديةً ثيابًا حمراء. ثمّ انتظمت في صفوف الحزب الشيوعيّ الإيطاليّ، وساهمت في محاربة المدارس الكاثوليكيّة. ولكنّها كانت تشكو، دائمًا، من عِلَلٍ صحّيّةٍ، لا تنفكّ تتفاقم، يومًا فيومًا. وذات ليلةٍ من شهر أيلول ١٩٤٩، رأت في الحلم پادري پيّو يدعوها إلى زيارته. ولم يكن أحدٌ من عارفيها يتخيّل أنّها قد تولي اهتمامًا بهذا الراهب. غير أنّ ما رأته في الحلم خضّ كيانها.

ويوم ١٩٤٩/١٢/١٤، قدمت إلى سان جوڤانّي رُتوندو، وحوّلها حضورها لقدّاس پادري پيّو تحوّلًا جذريًّا، سرّيًّا. وهمست في أذن شقيقتها الواقفة إلى جانبها، أنّ قوّةً غريبةً تدفعها نحو الهيكل، ونحو الكاهن الذي يقيم القدّاس. ثمّ حصلت على بطاقة دورٍ للاعتراف لدى الأب پيّو في اليوم التالي.

جفاها النوم، في تلك الليلة، وتصادمت داخلها الأفكار

والمشاعر. وفي الصباح ارتمت في كرسيّ الاعتراف أمام الأب پيّو، وأعلنت على مسمع الجميع، وبصوتٍ عالٍ، إنكارها للإيديولوجيّة الشيوعيّة المعادية لله، وعودتها إلى أحضان الله. وكتبت إلى مديرة المدرسة التي كانت تعلّم فيها، وإلى ثلّةٍ من أصدقائها:

"وجدتُ السلام. صلّوا من أجلي"

وحاول أصدقاء قدامى إقناعها بالعودة عن قرارها المفاجئ. ولكنّ قرارها كان ناضجًا، صامدًا، ثابتًا، لا يتزعزع. وكانت قد وطّنت عزمها على البقاء في سان جوڤانيّ رُتوندو، على مقربةٍ من منقذ نفسها، الذي اقتادها إلى واحة السلام بعد تيهٍ تمادى عشرين سنةً.

ودوّنت شهادة حياتها في شهر آب ١٩٥٠، مؤكّدةً أنّ أوجاع السرطان الذي كان يلتهمها شديدة الإيلام، ولكنّها ساكنة النفس، مستسلمةٌ للمشيئة الإلهيّة. وأكّدت أنّ اعتناقها الإيمان المسيحيّ قد تمّ بقناعةٍ واعيةٍ تامّةٍ، بمعزلٍ عن أيّ ضغط أو خوفٍ، وبدعوة ضميرها إلى السكينة النفسيّة، وبإدراكها أنّ الحياة الحقّة ليست هي التي ساقتها سالفًا.

وطلبت دفنها على مقربةٍ من مدفن والدَي پادري پيّو، وهي متمنطِقةٌ بالزنّار الفرنسيسكانيّ الأبيض. وتحقّقت رغبتها هذه عندما خطفتها المنيّة يوم ١٩٥٠/١٠/٢٩.

★) شفاء السيّدة كونسيليا دي مارتينو

(الأعجوبة التي اعتمدتها الكنيسة من أجل إعلان طوباويّة پادري پيّو)

السيّدة "كونسيليا دي مارتينو"، في الثالثة والأربعين من سنيها، أمٌّ لثلاثة أولادٍ، تقطن في مدينة "ساليرنا" الإيطاليّة، مع أسرتها.

مساءَ يوم ١٩٩٥/١٠/٣١، أثناء العشاء، أحسّت ألمًا شديدًا في عنقها، وعزَتْه إلى الجهود العضليّة التي بذلتها خلال اليومين الفائتين، إذ كانت تُعنى بقريبٍ مريضٍ، أنهضته مرّاتٍ عديدةً. وفي اليوم التالي اشتدّ الوجع حدّةً. وذُهلت عندما لحظت في عنقها ورمًا جسيمًا، وهُرعت إلى مركز المدينة الطبّيّ، حيث أظهرت الصورة الشعاعيّة والفحوص السريريّة انصبابًا خطيرًا للسائل اللمفاويّ، قُدِّر بلترَيْن أو ثلاثة ليتراتٍ. وفي اليوم التالي، أخطرها رئيس الأطبّاء أن ليس لحالتها علاجٌ، سوى الجراحة.

وكانت السيّدة مارتينو من أشد مكرِّمات پادري پيّو، وتستشفع به في كلّ أزمةٍ أو شدّةٍ. وحينئذٍ، توسّلته بمزيدٍ من الحراراة، طالبةً

شفاءها بلا جراحةٍ، وشاركتها أُسرتها ابتهالها هذا، وكلّفوا راهبًا صديقًا للأسرة، مقيمًا في سان جوڤانيّ رُتوندو، أن يصلّي من أجل هذه النيّة، على ضريح الأب پيّو.

وأُخضعت السيّدة كونسيليا، ثانيةً، لتصويرٍ ضوئيٍّ، ولفحصٍ بالصدى (Echo-doppler)، فاشتمّت فوح زهورٍ شبيهًا بالشذا الذي طالما تنسّمته أثناء استشفاعها بپادري پيّو. وبوغت الأطبّاء بملاحظة تحسّنٍ مفاجئٍ في وضعها، وبتقلّص ورم عنقها تقلّصًا واضحًا.

وتذكّرت أنّها، بعد ظهر ذلك اليوم، فيما كانت شبه نائمةٍ، اعتراها شعورٌ مريحٌ، عذبٌ، وكأنّ أحدًا كان يخيط موضع ترقوتها اليُسرى، ونسبت ذلك الشعور إلى استجابة پادري پيّو لتوسّلاتها.

في الواقع كان شفاؤها تامًّا، ومباغتًا، وزال الورم زوالًا كلّيًّا، بلا معالجةٍ ولا جراحةٍ. وأكّدت جميع الفحوص والتّشخيصات هذا الشفاء العجيب. وتعذّر على الأطبّاء، فهم كيف زال السائل الذي أحدث الورم. ولم يكن تاريخ الطبّ قد عهد حالةً مماثلةً، ولا استطاع أحدٌ تفسيرها علميًّا.

★) إنقاذ الطفل متّيو من موتٍ محتّمٍ

(الشفاء العجيب الذي استندت عليه الكنيسة من أجل إعلان قداسة پادري پيّو)

"متّيو پيّو كولّيلا" (Matteo Pio Collela)، طفلٌ في السابعة من عمره، يعيش مع ذويه في سان جوڤانّي رُتوندو.

صباح ٢٠٠٠/١/٢٠، حضر إلى المدرسة كعادته. وبعد بضع ساعاتٍ لحظت المعلّمة سوء حالته، فقد انتابته رعشةٌ، وهوى رأسه على صدره، وفقد القدرة على النطق. واستُدعي ذووه على عجلٍ، وكانت الساعة العاشرة والنصف. وقد بلغت الحمّى لديه ٤٠ درجةً، وبدأ يتقيّأ. وفي الساعة العاشرة مساءً، لم يعد يتعرّف والدته، وتسارع تدهور حالته، فنُقِل إلى مستشفى "پادري پيّو"، "بيت تخفيف الألم"، حيث كان والد الطفل يعمل طبيبًا.

وسرعان ما اتّضح مدى خطورة وضع الطفل، إذ شُخِّصت إصابته بالتهاب سحايا صاعقٍ، تلته سلسلة مضاعفاتٍ متسارعةٍ. فقد تعطّل جهاز أوعيته الدمويّة، وأجهزة قلبه، وأُصيب بفشلٍ كلويٍّ، وتنفّسيٍّ، وتخثّر دمه، فنقل إلى قسم الإنعاش.

وما لبثت أن اختلّت سائر وظائف جسده، اختلالًا خطيرًا. فلجأ رئيس الأطبّاء إلى الحلّ الأقصى، وحقن الطفل بجرعةٍ كبيرةٍ من الأدرينالين، لم تُؤتِ سوى أثرٍ ضئيلٍ. وظلّ وضعه في غاية الخطورة. وذكّر أحد الأطبّاء زملاءه أنّه، عندما تجتمع أكثر من خمس حالات فشلٍ وظيفيٍّ في الجسم يصبح الشفاء مستحيلًا، والعلاج بلا طائلٍ. كما ذكّر بأنّ تاريخ الطبّ يؤكّد أنّ كلَّ مريضٍ ينتهي إلى هذه المرحلة، لا تُكتَب له النجاة.

وكان والدا الطفل شديدَيْ التكريم لمواطنهما پادري پيّو، وفي الحال عُقِدت سلسلة صلواتٍ واستشفاعٍ بالكاهن القدّيس. وعندما استفسرت معلّمة المدرسة، هاتفيًّا، عن حال متّيو، أجابتها والدته بصوتٍ تخنقه العَبَرات: إنّنا نستشفع پادري پيّو، فنحن نكاد نفقد متّيو. واشترك جميع طلّاب المدرسة وذووهم وأصدقاؤهم، وحتّى أطبّاء المستشفى وممرّضوه وممرّضاته في استشفاع الأب القدّيس. وتدافع مصلّون إلى ضريح القدّيس. وتُليت مئات المسابح، وسالت سواقي الدموع، وتراكمت التوسّلات، وغُمِر جسم الطفل المحتضر بذخائر پادري پيّو.

وصباح اليوم التالي لاحت بشائر تَفوقُ الطّبيعة، وصعب على كثيرين تصديقها. فقد استعادت أعضاء الطفل عملها الطبيعيّ، وامتزج الذهولُ والتأثّر بالهتافات الحادّة، بعد أن كانت قد تلاشت جميع فُرَص الشفاء. وكان متوقَّعًا، حتّى إذا حدث شفاءٌ، أن يخلّف المرض على الدماغ والكلى، أثرًا دائمًا، وعلّةً باقيةً.

ولكنّ الدهشة كانت جسيمةً، بقدر ما كان الأمل معدومًا:

فبعد عشرة أيّامٍ من العلاج، أفاق الطفل من سباته، وحدّق إلى الأطبّاء، وقال: "أريد بوظة". وأخذ يمازح الأطبّاء والممرّضين.

ويوم ٦ شباط، كان متّيو، وهو ما زال في قاعة الإنعاش، يشاهد التليفزيون بهدوءٍ، ويلعب بالبْلي ستيشن (Play station)، والأطبّاء يراقبون ردود فعله.

لقد واجه الأطبّاء حدَثًا فريدًا، وأجمعوا على استحالة تفسير شفاء متّيو، وعدم تخليف ما اعتراه أيّ أثرٍ مرضيٍّ، تفسيرًا علميًّا، وأعلن أحدهم، بلسان جميعهم: "لا أستطيع تفسير شفاء متّيو، ونجاته من أيّ عواقب مَرَضيّةٍ، إلّا بتدخّلٍ فائق الطبيعة".

وأعلنت والدة الطفل، في سياق تطويب پادري پيّو: "أيًّا كان رأي

البشر في هذه الحالة، تبقى قناعتي الراسخة، قناعة أُمٍّ، وقناعة مؤمنةٍ، أنّ ابننا أُعيد لنا لأنّ الربّ شاء ذلك، مع أنّنا لم نستأهل هذه النعمة. فالربّ، في رحمته العظمى تدخّل من أجل عزائنا، بشفاعة حبيبنا پادري پيّو".

وذكرت الوالدة إشاراتٍ على حضور القدّيس پيّو من خلال شذا وردٍ وبنفسجٍ كثيفٍ، وعذبٍ، ومنعشٍ. وذكّرت بقول الراهب الطوباويّ: "بصفتي كاهنًا، رسالتي الشفاعة، والتماس عطف الله على الأُسرة البشريّة". وهتفت: "يا پادري پيّو الحبيب، شكرًا، فقد عانقتنا في محنتنا، وأوصيت الله بنا".

ومع أنّ الأطبّاء أجمعوا على التأكيد بأنّ مريضًا في وضع متّيو، وسُباته لا يسمع، ولا يرى، ولا يذكر شيئًا، غير أنّ متّيو، عندما سُئِل، بعد استيقاظه، أكّد: "أثناء نومي لم أكن وحيدًا. فقد رأيتُ رجلًا شيخًا. وشهدتُ، من بعيدٍ، وأنا في السرير، من خلال ثقبٍ مستديرٍ، أنّني كنتُ على مقربةٍ من آلاتٍ. وجاء رجلٌ مسنٌّ، له لحيةٌ بيضاء، ويرتدي ثوبًا طويلًا، بنّي اللون، وأخذ بيدي اليمنى، وقال مبتسمًا: "يا متّيو، لا تقلق، ستشفى قريبًا".

★) تنبّؤاتٌ

١) من المواهب الاستثنائيّة التي تميّز بها پادري پيّو، موهبة التنبّؤ. فقد تنبّأ لرئيس أساقفة ميلانو "مونتيني"، أنّه سيخلف البابا يوحنّا الثالث والعشرين على السدّة البابويّة، قبل سنواتٍ من انتخابه. وتنبّأ للبابا يوحنّا بولس الثاني بانتخابه حبرًا أعظم، قبل أربعين سنةً من انتخابه، عندما كان بعدُ كاهنًا شابًّا.

٢) وقد تنبّأ مرّاتٍ عديدةً بموعد وفاته. فيوم كلّف رؤساؤه مصوّرًا بتصوير سماته إثر ظهورها، عام ١٩١٨، قال للمصوّر: "ما زال أمامنا خمسون سنةً. تذكّر ذلك". ولم يفهم المصوّر لقوله معنًى. وكان التصوير قد تمّ يوم ٢٠ أيلول ١٩١٨. ويوم ٢٠ أيلول ١٩٦٨، شاهد الأب المصوّر عينه، فذكّره: "لقد مرّت الخمسون سنةً". وبعد ثلاثة أيّامٍ، كان پادري پيّو قد غادر هذه الفانية.

٣) وكانت زوجة أخيه قد زارته عام ١٩٦٧، وأطلعته على ما تخطّط له الأُسرة بعد سنتين: فتمنّى لجميع أفراد الأُسرة السلامة

والسعادة، ولكنّه تأسّف قائلًا: "آسفٌ أنّني لن أشارككم فرحكم. فسأكون حينئذٍ، قد رحلت عن هذه الدنيا".

٤) لطالما حذّر پادري پيّو أصدقاءه وأبناءه الروحيّين من أخطارٍ داهمةٍ، كي يتجنّبوها أو يتّقوها. وقد طلب منه كاهنٌ صديقٌ الصلاة من أجل غايةٍ محدّدةٍ، وما إن شرع يصلّي حتّى ومض في ذهنه نورٌ سماويٌّ، فقال لطالب الصلاة: "استعدّ، أنت، بالأحرى للموت". وفي الواقع لقي ذلك الكاهن حتفه، بعد أسبوعٍ".

٥) روى "دون پييرونيو غاليوني"، أنْ، بعد انتهاء پادري پيّو من إقامة قدّاسه، ذات يومٍ، وبعد تلاوته صلاة الشكر، جال بنظره بحثًا عن شخصٍ موجودٍ في الكنيسة، ودعاه إلى مرافقته. وتبعه الرجل إلى صومعته. وبعد نصف ساعةٍ، انحدر ممتقع القسمات، وبمشقّةٍ ردّ على مستفسريه، وأفاد: "هذه هي زيارتي الأولى إلى سان جوڤانّي رُتوندو، ولم أكن قد رأيتُ پادري پيّو، قطّ. صعدتُ معه، استجابةً لدعوته، ودعاني إلى دخول صومعته، وسألني عن حالي، فقلت إنّها ممتازةٌ. ولكنّ الأب پيّو قال لي، بصوتٍ محطَّمٍ، وبرقّةٍ

فائقةٍ: "اعلم، يا صديقي، أنّك، بعد أسبوع، ستغادر هذه الدنيا. ولكن لا تخَفْ. بل استعدّ بتواضعٍ، وأنا سأكون بجانبك، وأرافقك إلى السماء".

ذُهل السامعون. وخرست ألسنة أصدقاء الرجل. وبعد بضعة أيّام عاد أصدقاؤه أولئك إلى سان جوڤانيّ رُتوندو، وسارع الأب "غاليوني" إلى الاستفسار عن مصير صديقهم، فأفادوا أنّه، بعد بضعة أيّامٍ من عودته، انتابته علّةٌ مباغتةٌ. وفي نهاية الأُسبوع، فارق الحياة، كما تنبّأ پادري پيّو. وأضافوا: "بما أنّ نبوءة موته قد تحقّقت، فلا ريب أنّ وصوله إلى السماء قد تحقّق، أيضًا".

٦) إثر عودة الأب پيّو من پييترالشينا، عام ١٩١٦، قضى ستّة أشهرٍ في مدينة فوجيّا. وجاء ابن أخيه الصغير الذي كان شديد التعلّق به، كي يزوره. ولكي لا يلهيه الطفل عن واجباته في الدير، جاء به إلى سيّدةٍ مُسنّةٍ في القرية، ورجاها أن تُبقيه لديها بُرهةً، وأن تستدعي حفيدها كي يلعبا معًا.

ولم تستطع المرأة إلّا الموافقة على طلب الراهب القدّيس، فاستدعت حفيدها "ميكيلينو" كي يلعب مع ابن شقيق الكاهن.

وعندما عاد الأب كي يسترجع وديعته، رجته والدة "ميكيلينو" أن يصلّي من أجل والد ابنها الذي استُدعي إلى الخدمة العسكريّة، فأجاب: "سأصلّي كثيرًا من أجله. ولكن فلندعُ جميعنا السيّدة العذراء أن تحمي ميكيلينو"، أيضًا، فهو، عندما سيصبح شابًّا، سيُستدعى، أيضًا، إلى الخدمة العسكريّة.

وتحقّقت نبوءته، عندما انخرطت إيطاليا في الحرب عام ١٩٤٠.

★) قراءته لخفايا النفوس

١- من الذين خبروا قراءة بادري بيّو للأفكار عن بُعدٍ، الكردينال "سيري" الذي كان عندما انتُخب رئيس أساقفة أبرشيّة جنوى، يواجه حالاتٍ عويصةً، ويحتار بين قرارَيْن، متسائلًا أيّهما الأصحّ. وكان، تحت ضغط ضرورة العمل، يضطرّ إلى اختيار أحد القرارَيْن، ويبقى قلقًا حول سلامة اختياره.
وغالبًا ما كان يتلقّى، في اليوم التالي، برقيّةً من بادري بيّو يؤكّد اختياره للقرار الصائب.

٢- كان بادري بيّو يؤكّد لابنته الروحيّة "كليونيس موركالدي": "إنّي أعرف دخيلة نفسك، مثلما أنت تعاينين وجهك في المرآة. وقبل أن تتفوّهي بكلمةٍ، أعرف ما ستقولين". تلك الموهبة طالما ساعدته على تغيير حياة أشخاصٍ، لم يتخيّل أحدٌ أنّهم سيتغيّرون.

٣–فريق حجّاجٍ جاء إلى سان جوڤانيّ رُتوندو. وأمضى أفراده ليلتهم وهم يُعدّون لائحةً بالنِعَم التي سيلتمسونها من پادري پيّو. وفي الغداة، عقب القدّاس التقاهم، وبادرهم بقوله:

"يا أوغاد، حرمتموني راحة الليل".

غير أنّ بسمةً عريضةً، رافقت قوله العاتب ظاهريًّا، للدلالة على أنّه نال لهم كلّ ما طلبوه.

★) طرائف

- قدم زائرٌ، بدافع الفضول، إلى پادري پيّو، وتوارى وسط حشدٍ في السكرستيّا، فناداه الأب باسمه، ولمّا مثل أمامه، قال له:

- يا فلان، وجهك قذرٌ، وأنت على خطوتَيْن من البحر، أفلا تغتسل؟".

ثمّ أضاف، فيما كانت كلّ الأنظار محدّقةً إليهما:

– مركبتك متينةٌ، ولكن لا يمسك أحدٌ دفّتها.

وانتهى الأمر بالرجل في كرسيّ الاعتراف.

- في محكمة الله، ليست الأولويّات لأصحاب الألقاب الطنّانة. فذات يومٍ، قدم إلى سان جوڤانّي رُتوندو، ملكٌ تواكبه حاشيةٌ غفيرةٌ. وجاء من همس في أذن پادري پيّو أنّ الملك يريد الاعتراف. فأجاب: "الدور الآن للفتى "جوڤانّو".

- سمع امرأةً تسأله: "أبتِ، هبني هذه النعمة، فأنت قادرٌ على كلّ شيءٍ". فالتفت إليها، وقال لها بحدّةٍ: "ولكأنّك تقولين لي إنّني

وغدٌ قذرٌ. فإن كنت قادرًا على فعل كلّ شيءٍ، ولا أفعل كلّ ما يُطلَب منّي، فأنا وغدٌ".

- جاءه ضابط شرطةٍ، وقال: "زوجتي على وشك الوضع، فماذا تنصحنا بتسمية الوليد؟". وكان الأب مشغولًا جدًّا، فأجابه تلقائيًّا: "سمّياه "پيّو". وفرح الضابط، فقد كان هو الاسم الذي تمنّى إطلاقه على وليده. ولكنّه سرعان ما استدرك، فسأله ثانيةً: "وإذا كان الوليد فتاةً، فما نسمّيها؟".

- "أنا قلت پيّو، وكفى!". فقد كان واثقًا أنّ الوليد ذكرٌ.

وتكرّر الحدث، بعد مضيّ سنتين. فأجاب الأب پيّو السّائل: "سمّياه فرنشيسكو". وتساءل الضابط، ثانيةً: "وإذا كان الوليد فتاةً؟".

- "يا قليل الإيمان". وكان الوليد ذكرًا.

ويجدر بالذكر أنّ ذلك الضابط، كان قد اعتاد سابقًا، إشاعة النمائم عن پادري پيّو، وكان الأب يسمعها ويصمت. وذات يومٍ، جاء الضابط إلى پادري پيّو، في مهمّةٍ، فأمسك بذراعه، وقال له: "علامَ تشيع الأكاذيب عنّي؟ راقب أوّلًا، وتأكّد، ثمّ تكلّم. فخجل الرجل. ومنذئذٍ، أمسى من "عَبَدة" پادري پيّو.

- سمعه شهودٌ طالما عاشوا على مقربةٍ منه، يقول: "يُقال عن ناپوليون أنّه كان يستطيع القيام بأربعة أمورٍ في آنٍ واحدٍ، وأنا لا أستطيع القيام إلّا بثلاثة أمورٍ معًا.
- صرّح مرشده الروحيّ الأب أوغستينو: "لو علمت الحجارة من هو پادري پيّو، لبكت تأثّرًا!".
- سأله أبناؤه الروحيّون، يومًا: "إذا جئنا نبحث عنك، فأين ينبغي أن نبحث؟".

- "إبحثوا عنّي أمام مخبأ القربان المقدّس. هناك تجدوني". فهو المكان الذي يطيب له قضاء أسعد وقتٍ، فيه.

- سأل يومًا، مهندسةً عن مكان سكنها، وكان قد زارها سابقًا، زيارةً روحيّةً. فأجابته بدهشةٍ: "لقد زرتني مرّةً، فكيف تسألني الآن عن مكان سكني؟" فأجاب:

- "في تلك الزيارات، لا أبتغي أن أرى سوى النفس".

- كان والد پادري پيّو يقضي أيّامه الأخيرة في سان جوڤانّي رُتوندو. وشدّه الشوق، ذات يومٍ، إلى زيارة قريته، فطلب من ابنه الكاهن شيئًا من المال من أجل هذه الرحلة. فقال له الأب:

- بابا، ليس لديّ مالٌ.
- كيف ليس لديك مالٌ، والمال ينهمر عليك بلا توقّفٍ!
- صحيحٌ. ولكنّ هذا المال ليس لي. فإذا كنتَ مصرًّا على زيارة القرية، أوجد المال اللازم. وإلّا فابقَ هنا، حيث لا ينقصك شيءٌ.

وجأر والده غضبًا، قائلًا: "انظروا هذا الولد الذي هاجرتُ مرّتين، كي أدفع نفقات تعليمه، وهو يقول لي، الآن، أنّ ليس لديه مالٌ يعطينيه، كي أمضي إلى بييترالشينا!

وبقدر ما استحال إفهام الوالد، استحالة تصرّف ابنه بمال التبرّعات، استحال حمل الكاهن على الإخلال، ولو إخلالًا طفيفًا، بالأمانة.

- كانت قد مضت أيّامٌ قليلةٌ على ظهور سمات صلبه، وهو دائبٌ على إخفائها عن الجميع. وفي هذه الأثناء، أُصيب أحد طلّاب الإكليريكيّة التي كان يُديرها بعلّةٍ جلديّةٍ. ومنعًا لنشر عدواها حُجِر الشابّ، وكُلّف پادري پيّو بمعالجته. فكان يدهن مكان الإصابة لدى الشابّ بمحلولٍ أحمر اللون، يخلّف أثرًا على يدي الشابّ والكاهن معًا.

بعد أيّامٍ، شُفي الشابّ، وزالت آثار الحمرة عن يده. ولكنّه لحظ، على يد الأب بيّو بقعةً مستديرةً حمراء، فسأله: "علامَ زال عنّي كلّ أثرٍ للسائل، ولم يزلْ عن يدك؟"

فلم يجب الأب، واكتفى بإخفاء يديه، وإدخالهما تحت أكمام ثوبه، وواصل صلاته. وما هي سوى أيّامٍ قلائل، حتّى ذاع نبأ ظهور سمات الصلب على الأب بيّو. فجاءه رئيسه، ذات صباحٍ باكرٍ، قبل نهوضه من سريره، وقال له: "بأمر الطاعة المقدّسة، أرِني سماتِك". فامتثل لأمر الطاعة، باكيًا.

- بعد مرور تمثال سيّدة فاطمة في هيليكوبتر فوق الدير، وعدم تمكّن الأب بيّو من رؤيته، خلّف ذلك الحرمان في نفسه جرحًا، ظلّ ينزف شهوراً طويلةً. وكان إخوانه يقرأون هذا الحزن في عينه. وحاولوا، ذات يومٍ، تعزيته قائلين: "تعزَّ يا أبانا، فهناك نفوسٌ عديدةٌ تُصلّي من أجلك".

وكم عصر قلبهم حزنًا جوابه: "في الواقع، يؤلمني فوق كلّ شيءٍ، أنّي لا أستطيع حتّى رؤيتهم". وكانت دموعه تتدفّق.

★) متفرّقاتٌ

قيامة

- فتاةٌ في السابعة مصابةٌ بورمٍ في القسم اليمينيّ من البطن، بحجم رغيفٍ صغيرٍ. تراءى لها في الحلم بادري بيّو وشفاها، وتوارى.

- ربّة أُسرةٍ أُصيبت بالتهاب الرئتين، وانتهت إلى مرحلة الخطر القصوى، وأعلن الأطبّاء قرب وفاتها، فتوسّلت أُسرتها شفاعة الأب بيّو من أجل شفائها، فأجاب: "ستقوم يوم عيد الفصح".

يوم الجمعة العظيمة، دخلت في غيبوبةٍ عميقةٍ. فظنّ ذووها أنّها ماتت، فألبسوها مساء السبت أجمل ثيابها. ولكن، عندما قُرِعت أجراس العيد صباح يوم الأحد، نهضت وصلّت، وكان شفاؤها كلّيًّا.

الفهرس

تمهيد ٥
جوڤانّا ريزّاني ١٥
جوڤانّي فيشير ١٨
خزي أسقفٍ مرتابٍ ٢١
ارتداد قاتلٍ ٢٣
قيامة طفلٍ ميتٍ، ١٩٢٥ ..... ٢٧
روزيتّا پَوْلو ريڤا ٢٩
فتاةٌ بلا بؤبؤٍ، ترى ٣١
فتاةٌ تروي شفاءها ٣٢
عاملٌ مصابٌ استعاد قدرته على الحركة، يروي ٣٥
ذراعٌ مكسورةٌ تُشفى ٣٨
تاجرٌ ملحدٌ يتحوّل ٣٩
حرصه على إقامة القدّاس ٤١
رسالةٌ معطّرةٌ ٤٣
يتخفّى عن الفضوليّين ٤٥
ارتداد رجلٍ شيوعيٍّ ٤٧
إبليس في زيّ مرشدٍ ٤٩

إنقاذ جنرالٍ من الانتحار ٥١
ارتداد ماسونيٍّ بارزٍ ٥٣
مَن حوّل رصاصة القاتل؟ ٥٦
مداخلتان عن بعدٍ ٥٩
امتحانٌ ينقلب برهانًا ٦٢
اعترافٌ صامتٌ ٦٣
شفاءٌ نفسيٌّ ٦٥
إنقاذ طفلٍ من الموت ٦٧
ارتداد محامٍ ماسونيٍّ ٧٠
كيف نال پادري پيّو شفاء راهبٍ زميلٍ له في ميلانو ٧٣
شفاءٌ من ورمٍ سرطانيٍّ لمفاويٍّ ٧٥
شفاء معلّمةٍ بريطانيّةٍ مشلولةٍ ٧٧
مطرٌ لا يبلّل ٧٩
شفاءٌ قبل الطلب ٨١
پادري پيّو والبابا يوحنّا بولس الثاني ٨٢
رحلاتٌ سرّيّةٌ ٨٦
إسرافٌ في التوبة ٨٧
كيف تولد الشائعات ٨٩
في اللحظة الأخيرة ٩١

منع طيّارين حربيّين من إلقاء قنابل على سان جوڤانّي رُتوندو ٩٣
غنائم پادري پيّو الكبرى ٩٥
١- فريديريك أبريش (Fréderik Abresh) ٩٥
٢- ارتداد مثقّفٍ ماسونيٍّ: "ألبيرتو دل فونتي"..... ١٠٠
٣- الدكتور فرنشيسكو ريكّاردي (Francesco Ricardi)..... ١٠٤
زياراتٌ سرّيّةٌ للكردينال ميندْزنْتي في معتقله..... ١٠٦
ارتداداتٌ مدوّيةٌ..... ١٠٨
١- الشيوعيّ الفرنسيّ "ميشيل بوايّي" (Michel Boyer)..... ١٠٨
٢- الشيوعيّ الإيطاليّ "جوڤانّي بارداتسي" (G. Bardazzi)..... ١٠٩
٣- معلّمةٌ شيوعيّةٌ تتحوّل إلى الإيمان المسيحيّ ١١٤
شفاء السيّدة كونسيليا دي مارتينو..... ١١٦
إنقاذ الطفل متّيو من موتٍ محتّمٍ..... ١١٨
تنبّؤاتٌ ١٢٢
قراءته لخفايا النفوس..... ١٢٦
طرائف ١٢٨
متفرّقاتٌ..... ١٣٣

الفهرس..... ١٣٥

أورست مصبح

خوارق وطرائف في حياة القدّيس پادري پيو

٢٠٢٣

منشورات المكتبة البولسيّة

جونيه - شارع القدّيس بولس - ص.ب.: ١٢٥

هاتف: ٠٩/٩١٢٥٩٣ - ٠٩/٩٣٣٠٥٢ - فاكس: ٠٩/٦٤٣٨٨٦

بيروت - شارع لبنان - هاتف: ٠١/٤٤٨٨٠٦ - تلفاكس: ٠١/٤٤٤٩٧٣

زحلة - شارع سيّدة النجاة - مقابل مطرانيّة الروم الملكيّين الكاثوليك - تلفاكس: ٠٨/٨١٢٨٠٧